الرابطة

شهرية - علمية - ثقافية - تصدرها رابطة العالم الإسلامي

السنة ٥٦ العدد ٦٣٩ ربيع الآخر ١٤٤١هـ - ديسمبر ٢٠١٩م

الرابطة

وزير التسامح الإماراتي يسلم د.العيسى جائزة تعزيز السلم

وزير الخارجية يستقبل الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي

«الرابطة» تناقش قضايا الهوية الوطنية والأخوة الإنسانية وأزمة الاتجار بالبشر في ملتقيات مكثفة بإسكندنافيا

حوارات من أجل المستقبل

شـــهدت الزيارات الأخيرة لمعالي الأمين العام لرابطة العالم الإســـلامي الشـــيخ الدكتور محمد العيسى حوارات مفتوحة مع كبار الشخصيات السياسية والدينية والفكرية والإعلامية في كل من الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا.

وقـــد أثبتت هذه الحوارات جدوى وفائدة، لما تقوم عليه من خطى عملية تلتمس البعد الحضاري للعلاقات الدولية، وتؤسس للالتقاء على أرضية مشتركة تتسع للجميع.

إنها حوارات تواصل حضاري من أجل المســـتقبل لأنها تتنفس برئة العلم والمعرفـــة، فهي الجديرة دومًا بتحقيق الأهداف المرجوَّة في تعزيز الروابط بين الأمم والشعوب.

نوَّهت إلى ذلك مؤسسات بحثية عدة، مشيدة بالمبادرات الدولية لرابطة العالم الإسلامي من أجل تعزيز جهود السلام والوئام بين الأمم والشعوب مع إيضاح حقيقة الدين الإسلامي في مقابل المفاهيم الخاطئة.

ولا ريب أن هذه الجهود وجدت من تلك المؤسسات ما تستحق من الاهتمام والتقدير. ومن ذلك التقرير الصادر أخيراً عـــن وزارة الخارجية الأمريكية الذي ثمن الدور الحالي لرابطة العالم الإســـلامي، وأيضًا ما نشرته بعض الصحف الأمريكية حول العمل المحوري على ضوء المبادرات والبرامج التي قام بتفعيلها عالمياً معالي الشيخ العيسى.

وقد عبَّر عن هذا الدور رئيس جامعة ولاية يوتا الأمريكية، السيد كيفن وورثن، إذ قال خلال حفل التكريم المقام على شرف الأمين العام: «إنه لشرفٌ عظيم وجودكم اليوم في جامعتنا، خاصةً أنكم الآن شخصية عالمية وجهودكم واضحة في بناء الجســـور بين أتباع الديانات والثقافات، ونحن ممتنون جداً لذلك، وندرك أن هناك الكثير من المشـــتركات الإيجابية التي تجمعنا بالمسلمين الذين تُمثلونهم».

هكذا كانت مبادرات رابطة العالم الإســـلامي برهانًا على أن الأصل في الإســـلام هو السلام والتواصل الإيجابي مع الجميع، وتبني المواقف التي تنمي الوعي بقضايا الحوار والتسامح بين الأمم والشعوب.

وفي السياق نفسه ما جرى من نقاشات جادة، شهدتها مدينتا أوسلو وأستوكهولم في ندوتين مهمتين إحداهما: الأخوة الإنسانية، والأخرى قضية الاتجار بالبشر بهدف تأسيس عمل مستدام من خلال المبادرات والبرامج القائمة على رؤية مشتركة، وبيان دور المؤسسات الدينية ومنظمات المجتمع المدني في محاربة ظاهرة الاتجار بالبشر التي تؤرق العالم في الوقت الحاضر.

ويجيء كل هذا تناغمًا مع وثيقة مكة المكرمة الصادرة عن رابطة العالم الإســـلامي؛ التي أقرَّت أن المســـلمين جزء من هذا العالم بتفاعله الحضاري، يســـعَون للتواصل مع مكوناته كافـــة، لتحقيق مصلحة البشرية، وتعزيز قيمها النبيلة، وبناء جسور المحبة والوئام الإنســـاني، والتصدي لممارسات الظلم والصدام الحضاري وسلبيات الكراهية، وأن تحقيق معادلة العيش المشترك يستدعي تعاون القيادات العالمية والمؤسسات الدولية.

والله ولي التوفيق والإعانة.

المحتويات

«الرابطة» تناقش قضايا الهوية الوطنية والأخوة الإنسانية 4

وزير التسامح الإماراتي يسلّم د.العيسى جائزة تعزيز السلم 12

الرابطة تنجز مشروع إعادة تأهيل قنوات الري المائية في مقديشو 17

بسم الله الرحمن الرحيم

الرابطة

شهرية - علمية - ثقافية

الأمين العام
أ.د. محمد بن عبد الكريم العيسى

مدير عام الإعلام والنشر
أ. عبدالوهاب بن محمد الشهري

رئيس التحرير
د. عثمان أبوزيد عثمان

مدير التحرير
ياسر الغامدي

المراسلات:
مجلة الرابطة ص.ب ٥٣٧ مكة المكرمة
هاتف: ٠٠٩٦٦١٢٥٣٠٩٣٨٧
فاكس: ٠٠٩٦٦١٢٥٣٠٩٤٨٩
المراسلات على عنوان المجلة باسم رئيس التحرير
البريد الإلكتروني:

rabitamag@gmail.com
الموضوعات والمقالات التي تصل إلى مجلة «الرابطة» لا ترد إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر
للاطلاع على النسخة الإلكترونية للمجلة الرجاء زيارة موقع الرابطة على الإنترنت: www.themwl.org

طبعت بمطابع تعليم الطباعة
رقم الإيداع: ١٤٢٥/٣٤٣ - ردمد: ١٦٥٨-١٦٩٥

العدد: ٦٣٩
ربيع الآخر ١٤٤١ هـ - ديسمبر ٢٠١٩ م

غلاف العدد

الرابطة تحتفي بـ ٢٦ مجازاً بالسند المتصل بولاية كلنتان بماليزيا

كلنتان - الرابطة

نظمت رابطة العالم الإسلامي عبر الهيئة العالمية للكتاب والسنة، وبالتعاون مع المؤسسة الإسلامية بولاية كلنتان بدولة ماليزيا، جلسة ختم إجازة القرآن الكريم بالسند المتصل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم. وقال مساعد الأمين العام للشؤون التعليمية والعلمية بالهيئة العالمية الشيخ خالد عبدالكافي: إنه تنفيذاً لتوجيه الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الشيخ الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى، أقامت الهيئة العالمية للكتاب والسنة جلسة ختم القرآن الكريم بالسند المتصل إلى رسول الله برواية حفص من طريق الشاطبية، وتكريم المجازين في متني تحفة الأطفال والمقدِّمة الجزريّة في معهد تحفيظ القرآن والقراءات بالولاية وعددهم ٢٦ مجازاً.

وقد حضر هذه المناسبة نائب المدير العام للمؤسسة الإسلامية ومدير معهد تحفيظ القرآن وعدد من المشايخ والمهتمين بالشأن القرآني والطلاب وأولياء أمورهم، وأعرب الحاضرون عن امتنانهم للدور البارز الذي تقوم به رابطة العالم الإسلامي والهيئة العالمية للكتاب والسنة في سبيل خدمة الكتاب والسنة وعلومهما.

وزير الخارجية يستقبل الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي

16

د. البشاري: ندعو إلى تأسيس حلف النيات الحسنة والإنسانية من أجل تحصين شبابنا من تيارات الغلو والتنطع

31

بمشاركة المجلس الإسكندنافي وقيادات دينية وأممية وسياسية وفكرية وحقوقية

«الرابطة» تناقش قضايا الهوية الوطنية والأخوة الإنسانية وأزمة الاتجار بالبشر في ملتقيات مكثفة بإسكندنافيا

العيسى في افتتاح ندوة كوبنهاجن

كوبنهاجن - أوسلو- استوكهولم:

من الدنمارك إلى السويد مروراً بآيسلاندا وفنلندا والنرويج، نظمت رابطة العالم الإسلامي عددا من الفعاليات والملتقيات والحوارات التي قادها معالي الأمين العام للرابطة الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى في الدول الإسكندنافية، وطرحت قضايا الهوية الوطنية والأمن الفكري، والأخوة الإنسانية ومشتركاتها الجامعة للبشرية، والظواهر المعاصرة التي تمتهن كرامة الإنسان مثل ظاهرة الاتجار بالبشر، وذلك بمشاركة المجلس الإسكندنافي وفعاليات دينية وأممية وسياسية وفكرية وحقوقية وإعلامية، وبحضور ممثلين للمؤسسات الدينية والمدنية وعموم أعضاء السلك الدبلوماسي في الدول الإسكندنافية.

ورحب معالي د. العيسى، باسم رابطة العالم الإسلامي التي تضـــم تحت مظلتها عدداً من الهيئات العالمية وتجمعُ في عضويتها والتضامن معها علماءَ ومفكرين يناهزُ عدُدهم ٣٢٢٠ عالمـــاً ومفكراً من ١٣٧ دولـــة، ومن المقر الرئيسي للرابطة من مكة المكرمة، بالمشـــاركين والحضور النخبوي لفعاليات الرابطـــة في الدول الإســـكندنافية، موضحاً أن الرابطة أقامت في رؤيتها الجديدة جسور التعاون مع جميع أتباع الأديان والثقافات من خلال أعمال مشـــتركة تتميز

بالأهمية والفاعلية، كما اهتمت الرابطة ببناء الشـــخصية السوية للشباب.

وفي انطلاقة ندوة الهوية الوطنيـــة والأمن الفكري في كوبنهاغن عاصمة دولـــة الدنمارك، قال معاليه: «نحرص في الرابطة على نشر الوعي في الداخل الإســـلامي وخارجه، حيث ندرك أن هناك فئاتٍ تمتلك حماسةً دينية مجردةً عن ذلك الوعي المُعَبِّر عن حقيقة الإسلام وعن المنطق السوي»، مضيفا «ولقـــد أعلنا من أوروبا أن على المســـلمين احترامَ

إجماع الفعاليات الإسكندنافية على تأييد مبادئ «وثيقة مكة» في إرساء التعايش الحضاري

قوانين وثقافة البلدان التي يعيشون فيها، وألا يَقبلوا تصدير الفتاوى والأفكار إليهم، فلـــدى كل دولة ظرفيتُها المكانية التي تتطلب أحكاماً شرعية خاصة بها، وهذا المبدأ المستنير هو ما نصت عليه وثيقة مكـــة المكرمة التي صادق عليها في مايو الماضي أكثرُ مـــن ١٢٠٠ من كبار المفتين والعلماء المسلمين، يُمثلون جميع المذاهب والطوائف الإسلامية البالغةِ ٢٧ مكوناً إسلامياً، مستجيبين لنداء رابطتهم رابطةِ العالم

التوصيات:

* رفض توظيف الدين في النزاعات السياسية من القوى المتطرفة والمنظمات الظلامية

* دعوة ملحة لمراعاة خصوصية الظرفية المكانية للمجتمعات ورفض الفتاوى والرؤى العابرة للحدود

* التوصية بحلف عالمي يتأسس على مساحة هائلة من المشتركات الروحية والإنسانية

*دعوة الدول لاحترام تنوعها الديني والثقافي والوقوف على مسافة واحدة من مواطنيها

* المطالبة بحماية ضحايا الاتجار بالبشر من استغلال العصابات وتوفير الأمن للاجئين والمشردين

العيسى يلقي كلمته في افتتاح ندوة كوبنهاجن

د. العيسى: الرابطة أقامت في رؤيتها الجديدة جسور التعاون مع جميع أتباع الأديان والثقافات

الإسلامي من ١٣٧ دولةً في اجتماع تاريخي غير مسبوق لهم في التنوع والعدد ومستوى التمثيل».

وتابع معاليه: «ويسرنا أن نوضح من وجهة نظرنا الاستطلاعية وباسم الشعوب الإسلامية المنضوية تحت رابطة العالم الإسلامي أن المسلمين في الدنمارك والدول الإسكندنافية هم وطنيون بامتياز يحترمون دستور وطنهم وقوانينه وثقافته ويعكسون بتصرفاتهم معنى الأخوة الوطنية والأسرة الاجتماعية الواحدة، وأن هذا هو السائد في المكون الإسلامي، وأن الحالات الاستثنائية واردة في كل مجتمع ولا تمثل القاعدة العامة».

وجدد الأمين العام للرابطة في هذا السياق التأكيد على أهمية مراعاة الظرفية المكانية لكل دولة فالأحكام الشرعية والاجتهادات الفقهية في الدنمارك مثلاً تختلف عن غيرها، وهذا الغير يختلف عما سواه فلكل بلد خصوصيته القانونية والثقافية والعُرفية وكل هذا له اعتبار في الشريعة الإسلامية.

أما في ما يتعلق بمفهوم الأخوة الإنسانية، فأكد معاليه في كلمته التي ألقاها في ندوة «الأخوة الإنسانية تجمعنا» التي عقدت في عاصمة النرويج أوسلو، أن «الإنسان أخو الإنسان. لقد أتينا جميعاً من أب واحد، ومن أم واحدة، ونتج عن هذه الإرادة الإلهية التنوع البشري الذي جعله الخالق سبحانه ثراءً للإنسانية، فيما حاول الشر أن يجعله شقاء عليها، لكن مهما تكن تلك المحاولات فإن الخير باقٍ ومنتصر».

وشدد على أن أحوج ما يكون له الإنسان «في كل عصر» أن تتحقق له سُبُل الحياة الكريمة، التي تُعتبر القيمُ قاعدتَها الأساسية، ومن ذلك حفظ الحقوق والحريات، وتحقيق السلام والوئام بين أبناء العائلة الإنسانية الواحدة.

ونوه إلى أن تحقيق الأخوة الإنسانية يبدأ بتحقيق الأخوة الوطنية التي تحترم تنوعها الديني والثقافي والإثني، كما تَحْترم أيضاً هوية ودستور وقانون وثقافة ولغة البلد الذي تعيش فيه؛ فالأرض المشتركة تجمع القلوب،

جانب من الحضور في ندوة كوبنهاجن

وتوحد الأهداف وتعزز المحبة والاحترام، وتُقَوّي الإخلاص والتضحية للوطن.

وحول ظاهرة الاتجار بالبشر، نـــوه د. العيسى خلال تدشـــين ندوة «ظاهرة الاتجار بالبشر.. الواقع والمأمول» التي احتضنتها العاصمة الســـويدية ســـتوكهولم، إلى أن الحضور الكثيف والتفاعل مع نداء الرابطة لمناقشـــة هذه القضيـــة يؤكد جدية النُّخب المؤثرة في دراســـة أبعاد هذه الظاهرة العالمية التي باتت تشكّل تهديداً خطيراً للإنسانية.

واستنكر معاليه باسمه وباسم الرابطة، هذه الجريمة بكل أشكالها، التي تُعَدُّ انتهاكا صارخاً لكرامة الإنسان، في عصر بلغَت فيه الحضارة الإنسانية أوج تقدمها وازدهارها المعرفي والمادي، مؤكداً أن تشريعات الأديان السماوية تهدف إلى إيجاد عالم تســـوده القيم، ومن هذه القيم حفظ حقوق الإنســـان، واحترام آدميته، وصون كرامته، ليكون عزيزاً مكرّماً في هذه الحياة.

وأضاف: «لا يـــزال عصرنا يعاني مـــن أزمة أخلاقية وصلت به إلى تَسْلِيع الإنســـان واستهلاكه، ليتفاجأ عالَمُنا ببروز الرق والاستعباد في شكله الجديد، من قبل عصابات

تحقيق الأخوة الإنسانية يبدأ بأخوة وطنية تحترم تنوعها الديني والثقافي والإثني

منظمة عابـــرة للحدود يدعمها الفســـاد والضعف وعدم المبالاة»، مؤكداً أن العالم اليـــوم بدوله ومنظماته وهيئاته المتخصصة يسعى لمكافحة هذه الجريمة باعتبارها وصمة عار في جبين الإنسانية وإحدى أكبر مهددات قيمها وأمنها، لكنه بحاجة إلى عزيمة أقوى وتدابير أكثر فعالية وتنسيقاً، خصوصاً أن هذه الجريمة شـــملت نماذج مهينة وتركزت بشاعتها على النساء والأطفال وصور أخرى لا تقل بشاعة في استغلال الفقر وخاصة اللاجئين والنازحين.

وطالب الدكتور العيسى بتطبيق العقوبات الدولية ضد أي دولة يتم تصنيفها على أنها منشـــأ أو معبر أو مسرح لهذه الجريمـــة دون أن تقوم بما يجب عليها من دور جاد وفعال في مواجهتها واعتبار ذلك تحدياً منها للإرادة الدولية واعتداء على الكرامة الإنسانية وتهديداً للأمن والسلم الدولي، موضحاً «كلنا نعلـــم أنه لولا التســـهيلات المباشرة وغير

العيسى في افتتاح ندوة أوسلو

عصرنا يعاني أزمة أخلاقية وصلت به إلى بروز الرق والاستعباد في شكل جديد

المباشرة والمقصودة وغير المقصودة والتي تعكس إما فساد أو تراخٍ وتساهل أو ضعف الجهات المسؤولة في كل دولة لما تنامت هذه الجريمة، ولأمكن محاصرتها».

وتابع الأمين العام للرابطة: «وفي خصوص رابطة العالم الإسلامي فقد قامت باعتبارها منصة علماء ومفكري العالم الإسلامي المنضوين تحتها وباعتبارها مظلة الشعوب الإسلامية من مقرها بمكة المكرمة، ومن منطلق عضويتها في عدد من الهيئات والمنظمات الدولية، بدعم كافة جهود مكافحة هذه الجريمة من خلال عدة مشاركات وكذلك دعم جهود معالجة الهجرة غير المشروعة والتي تظل هاجساً مؤرقاً للجميع باعتبارها أحد أخطر معابر الاتجار بالبشر».

وخلص المشاركون في ملتقيات الرابطة في دول إسكندنافيا إلى جملة من التوصيات، تدعو إلى ضرورة تبرئة النصوص الدينية من الفهم المغلوط الذي يؤسسه المتطرفون الذين يختطفون الدين، بعيدا عن أصوله التي ترسخ قيم السلام والوئام بين الجميع وتدعو للعدل وتبشر بالرحمة والمحبة.

كما شددت التوصيات على رفض توظيف القوى المتطرفة والمنظمات الظلامية للدين في النزاعات السياسية، وتحويله إلى جسر يعبرون عليه لتحقيق الأغراض الشخصية والمطامع الأنانية، والدعوة إلى التشارك والتنسيق في التصدي للظواهر الإرهابية والأفكار المتطرفة التي تؤسس لمجتمع الكراهية والإقصاء والعنصرية.

وطالب المؤتمرون المكونات المختلفة إلى تجاوز صراعات الماضي، وعدم استدعاء أحداثه ولا سيما أن عالمنا أحوج ما يكون لصياغة مستقبل أجياله صياغة سليمة، مع تأكيدهم أن على المكونات المختلفة تعزيز الاندماج الوطني وتوفير شروطه العادلة التي تكفلها الدساتير الوطنية والقيم الناظمة للمجتمع، واحترام ثقافة الأغلبية، ونبذ الصور السالبة التي تنكفئ على الذات، وتنعزل عن المجتمع.

العيسى يلقي كلمته في افتتاح ندوة أوسلو

صورة المنصة في افتتاح ندوة أوسلو

وشـــددوا على الضرورة القصـــوى لمراعاة خصوصية الظرفية المكانيـــة للمجتمعات، وعدم القبـــول بالفتاوى والرؤى العابرة للحدود، مع التأكيد على فاعلية قيم حقوق الإنســـان والحرية المنضبطة باحترام القانون والمســـاواة العادلة بين الرجل والمرأة في بناء المواطنة الحقة التي تقوم على الثقـــة والاحترام المتبادل والقبـــول بالتعددية الدينية والإثنية.

ودعت التوصيات، الحكماء حول العالم إلى حلف عالمي جديد للقيم الإنســـانية العليا والمبادئ والأخلاق الســـامية

العيسى يلقي كلمته في افتتاح ندوة استوكهولم

أدعو لتطبيق العقوبات الدولية ضد أي دولة تصنف كمنشأ أو معبر أو مسرح للاتجار بالبشر

ينطلق ويتأسس على المساحة الهائلة للقيم الروحيّة والإنسانيّة والاجتماعيّة المشتركة بين مكونات العائلة الإنسانية، وصولاً إلى عالم يسود فيه السلام والأمان والعدل والتراحم بين الإنسان وأخيه الإنسان، وتبني الحوار والثقة بالآخر لصناعة مستقبل أفضل.

ونوهت إلى إبراز دور الدين كمرتكز أساس لإرساء ثقافة التآخي في مختلف المجتمعات الإنسانية باعتباراته المختلفة، ومواجهة مختلف أشكال الفتنة والاحتراب التي تستدعيها القوى المتطرفة التي تسعى إلى إثارة العنف والعنف المضاد وصولا إلى تأزيم العالم وإقحامه في صراعات لا تنتهي، مع دعوة المؤسسات والكيانات الفكرية والدينية إلى تنظيم المؤتمرات، وتكثيف اللقاءات وإطلاق المبادرات التي من شأنها نشر ثقافة العائلة الإنسانية الواحدة وسبل التعايش المشترك، والحد من انتشار الأفكار الانعزالية ودعوات الكراهية المطلقة والتعصب بكل أشكاله.

وطالبت التوصيات بتفعيل برامج التقارب المجتمعي، وإزالة معوقات التواصل داخل الوطن الواحد، وعدم القبول بسياسات الانعزال في الأحياء السكنية والمدارس التي تحول دون اندماج الأطفال في مجتمعهم، والتأكيد على أهمية إتاحة الفرصة لأخذ ساعات اختيارية في الثقافة الدينية في مناهج التعليم العام، إضافة إلى دعوة الدول باحترام التنوع الديني والثقافي والإثني، والوقوف مع الجميع على مسافة واحدة تلبية لمبدأ «الوحدة في التنوع»، وتعزيز سيادة الدستور والقانون لكل دولة، بما يحقق التشارك العادل في الوطن، ويضمن الثقة المتبادلة بين أبنائه، ويحترم الثقافة السائدة لكل دولة باعتبارها تمثل هوية الدولة وأن من حق أي دولة اتخاذ الضمانات والاحتياطات المشروعة لحماية هويتها ، مع حماية حق باقي المكونات المختلفة، ومنع أي أسلوب يؤدي إلى التحامل أو التحيز أو التهميش أو الاستفزاز لأي مكون وطني أو إهدار خصوصيته.

العيسى يستمع لكلمات المشاركين في افتتاح ندوة استوكهولم

ودعا المؤتمـــرون إلى تقديم العـــون للمحتاجين إليه من ضحايا الحروب والكـــوارث والفقراء بدون تمييز بين دين وعرق ولون، ودعم خطـــط التعليم والرعاية الأسرية في البلدان الفقيرة، ورفدها بالكفـــاءات التي تكفل الحياة الكريمة للجميع.

وفي جانب الاتجار بالبشر، أكد المشـــاركون أنه من أخطر الجرائم الدولية المنظمة العابرة للحدود الوطنية، وتمثّل نمطاً مستحدثاً من أشكال العبودية التي سعدت البشريـــة بالتخلص من صورها الســـابقة بعد تاريخ مرير وانتظـــار طويل، داعين إلى دعم برامج التنمية في الدول الفقيرة، واتخاذ الإجراءات التي توفر للإنســـان سبل العيش الكريم، متمتعا بحريته وحقوقه المشروعة، مع حماية الضحايا من اســـتغلال العصابات المجرمة، وتوفـــير الأمن والحماية للاجئـــين والمشردين وضمان سلامتهم.

ونادوا بإيجاد منظومـــة إقليمية في الدول ذات العلاقة للقضاء عـــلى التهريب والهجرة غير الشرعية، والتنســـيق بين الأجهزة المختصة للتعامل مـــع هذه الظاهرة، وتبادل المعلومات والخبرات، وتســـهيل عمـــل الجهات القضائية والأمنية ذات العلاقة لضمان الملاحقة القضائية للأشخاص المســـؤولين عن هذه الجرائم والتحقيق معهم ومعاقبتهم بعقوبات رادعة، وفرض العقوبات على الوكالات والمؤسسات التي تتعاون في هذه الجريمة.

وشـــكر المشـــاركون في ندوة الاتجار بالبشر الجهات المختصة في مملكة السويد التي أسهمت في إنجاحها، وأثنوا بالشـــكر على المبادرة التي قدمها معالي الشـــيخ الدكتور محمد العيسي في هذا الموضوع.

وأيـــدت مؤتمرات وفعاليات إســـكندنافيا، وثيقة مكة المكرمة التاريخية التي أصدرهـــا ١٢٠٠ من كبار المفتين والعلماء المســـلمين في مكـــة المكرمة في إرســـاء التعايش والتســـاكن الحضاري بين الأمم والشعوب واحترام التنوع والاختلاف بـــين البشر واحترام الحقوق والحريات وتمكين المرأة ودعم الأسرة، ورفض أي أسلوب من أساليب تسييس الأديان أو الإساءة أو تهديد هويات الدول مع سن التشريعات لمواجهة أصوات الكراهية والعنصرية المحرضة على العنف أو المهددة للسلم الاجتماعي لكل دولة.

وزير التسامح الإماراتي يُسلّم د. العيسى جائزة تعزيز السِّلم

العيسى يتسلم جائزة تعزيز السِّلم والتسامح

أبو ظبي:

خلال أحد أكبر ملتقيات القيـــادات الدينية والفكرية وبحضور عدد كبير من السياســـيين حول العالم من ذوي الاهتمام بقيم الســـلم والتســـامح؛ تم تكريم معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الشـــيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى، بجائزة الإمام الحســـن بن علي الدولية لهذا العام تقديـــرًا لجهود معاليه العالمية البارزة في تعزيز السلم والتسامح حول العالم، حيث جرى الاحتفاء بمعاليه وتســـليمه الجائزة من قبل ســـمو وزير التسامح بدولة الإمارات العربية المتحدة الشيخ نهيان بن مبارك آل نهيان، بحضـــور فخامة نائب الرئيس النيجيري ومعالي الشـــيخ عبدالله بن بيه رئيس مجلس الإفتاء الشرعي بدولة الإمارات العربية المتحدة ورئيس منتدى تعزيز السلم مع عدد غفير من الشخصيات العالمية الإسلامية والفكرية والسياسية.

وتهدف هذه الجائزة العالميـــة إلى تكريم الأعمال التي لها جهود فعالة وملموسة لتعزيز جهود السلام والتسامح حاملةً اسم أحد الرموز الإســـلامية وهو الصحابي الجليل الإمام الحســـن بن علي رضي الله عنهما الذي قال عنه نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم: «إن ابني هذا سَيِّدٌ ، ولعل الله أن يُصْلِحَ به بين فئتين عظيمتين من المسلمين».

وقال القائمون على منتدى تعزيز السلم بدولة الإمارات العربية المتحدة إن معالي الشيخ العيسى الحائز على جائزة

الإمام الحسن بن علي الدولية للسلم والتسامح من بين الشخصيات العالمية التي تسعى إلى نشر ثقافة السلم والتسامح في العالم، مؤكدين أن معاليه شخصية علمية عُرفت بمكانتها الأكاديمية المرموقة، وأهّلها تكوينها الشرعي والقانوني لقيادة عددٍ من الحوارات الفعالة مع الجهات الدينية والسياسية والفكريّة والحقوقيّة حول العالم.

وقد تحدث معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسي في سياق فعاليات منتدى تعزيز السلم لهذا العام التي عقدت في مدينة أبوظبي، مؤكداً أن المنتدى أحسن عندما اختار موضوعَ دَوْر الأديان في تعزيز التسامح، إذ هو يُرسل لقيادات الأديان حول العالم رسائلَ مهمة، تحمل في طياتها استدعاءَ مسؤولياتهم واستنهاضَ هممهم، ووضعَها أمام محك الأخلاق والقيم.

ونوه إلى أن السماحة قيمة أصيلة من قيم الإسلام الرفيعة، وأن خلق السماحة يبدأ برحابة الصدر في استيعاب المخالف، ومن ثم السعي قدر الإمكان لتحويل مفهوم الاختلاف المجرد، إلى مفهوم الإثراء والتعدد؛ فأفضل الإيمان «الصبر والسماحة» كما يقول رسولنا صلى الله عليه وسلم.

وأوضح د.العيسى أن كثيراً من النصوص الدينية يقرؤها البعض على أنها ضد قيم السماحة أو التسامح، فنبه إلى جملة من الأمور قائلًا: «أولاً يجب فهم معانيها فهماً صحيحاً، وكثيراً ما تتضح الحقيقة للمعترض بعدما يقف على التفسير الصحيح للنص، ثانياً: العلم بالنصوص ذات الصلة، فكم من نص جاء تفسيره في نص آخر، وكم من نص جاء ليعالج ظرفية خاصة، ولا يتم تطبيقه إلا على أمثال ظرفيته فحسب، بينما يوجد نص آخر يتعلق بالموضوع نفسه لكن كقاعدة عامة، ولذا كان اجتزاء النصوص خطأ فادحاً في فهم الشرائع».

وأضاف: «وثالثاً: فهم مقاصد النصوص الدينية التي جاءت بالرحمة والسماحة والسعة لتحقيق مصالح الناس

إدارة الجائزة: د.العيسى من الشخصيات العالمية التي تسعى إلى نشر ثقافة السلم والتسامح

د.العيسى: العلماء والمفكرون في مقدمة المسؤولين عن تعزيز قيم السلم والتسامح

جميعاً في دينهم ودنياهم، فالشريعة لم تأتِ للتضييق والحرج ولا الصراع والصدام، وقد ذكر علماءُ الإسلام أنه حيثما كانت مصالح الخلق فهناك شرع الله، وأن الفتاوى والأحكام تختلف باختلاف ستة أمور: الأزمنة والأمكنة والأحوال والعادات والنيات والأشخاص»، منوهاً إلى أن «وثيقة مكة المكرمة تحمل تلك القيم الرفيعة وهي الوثيقة التي صادق عليها أكثر من ألف ومائتي مفتٍ وعالم من سبعة وعشرين مذهباً وطائفة إسلامية يمثلون كافة المُكَوِّن الإسلامي في تجمع استثنائي في ظلال قبلتهم الجامعة بمكة المكرمة حيث اعتُبر الأول من نوعه في التاريخ الإسلامي».

وختم معاليه بالقول: «لا شك أن حضور هذا المنتدى من علماء ومفكرين جنباً إلى جنب مع أصدقائهم من علماء ومفكرين من أتباع الديانات الأخرى أمر إيجابي، إذ العلماء والمفكرون في مقدمة المسؤولين عن ترسيخ السلام والتسامح»، معبراً معاليه عن اعتزازه بالجائزة وأنها تحمل رسالة مهمة وهي التحفيز للمزيد من العمل لخدمة القيم الإسلامية والإنسانية ذات الصلة بموضوعات السلم والتسامح.

الأمين العام للرابطة : للإعلام دور في إيضاح الصورة الحقيقية للإسلام والتصدي للأساليب المشوهة

الرياض - واس

أبرز معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى، أهمية دور الإعلام والمنظمات الإسلامية والمسلمين عموماً في إيضاح الصورة الحقيقية عن الإسلام والمسلمين والتصدي للأساليب المشوهة، مشيرا إلى أن الفن يحمل رسالة كبيرة لكن قد يرسخ في بعض الأحيان لدى الشباب خاصة مفاهيم خطرة وربما توغل لدى الداخل الإسلامي وأثر فيه.

جاء ذلك خلال جلسة بعنوان «الإسلاموفوبيا أزمة فكر أم أزمة إعلام» تحدث فيها الدكتور العيسى عن علاقة الرسالة الإعلامية بظاهرة الإسلاموفوبيا، ومهام صناعة الإعلام في مواجهة هذه الظاهرة، وتغيير الصورة النمطية التي يعكسها الإعلام المضاد من خلال معنى «الإسلاموفوبيا»، ومخاطر المصطلح وأثر الرسالة الإعلامية المأزومة له والجهود المأمولة لمواجهة تنامي المصطلح وتطبيقاته.

وقال معاليه: «إن المنتدى يحمل في فحواه تأسيساً ملحاً لهذا الطموح، لا سيما أن الموضوعات التي سيتم طرحها بمهنية وموضوعية ظلت عالقة لا من جهة طرحها المعتاد أو التقليدي ولا من جهة طرحها النخبوي العميق، حيث انتدبت لهذا الطرح أسماء ذات اختصاص علاوة على رصيدها المعرفي.

وأوضح أن منتدى الإعلام السعودي يمثل حاجة ملحة بمختلف موضوعاته وتخصصاته لطرح القضايا ذات الأهمية ولا سيما فيما يتعلق بالسياق الظرفي والمكاني والتناول النوعي.

وأكد الدكتور العيسى أن الإسلاموفوبيا، مصطلح لا

بد من إشباعه واستطلاع تفاصيله كافة بدءاً من الأسباب والتحليل والحلول ومقارنة ذلك بالجدليات حوله من جميع الأطراف، مشيرا إلى أن هذا المصطلح تزايد وبآثاره السلبية مع وجود المنظمات المتطرفة والإرهابية والمحسوبة زورًا على الإسلام، ومع تزايد خطاب التشدد والتطرف وتزايد الفجوة الدينية والثقافية والحضارية في حوارها الإيجابي مع الآخر، حيث ضاعفت هذه الفجوة من الآثار السلبية للإسلاموفوبيا.

ولفت النظر إلى الاعتقاد السائد من أن خطاب الإسلاموفوبيا تأسس على مبرر في حين يأتي الخطاب الإسلامي بوجه عام ناقدًا وعاتباً وقلقاً في بعض الأحيان، وفي ثالثة يأتي خطاب من الداخل الإسلامي يسعى من وجهة نظره للنظر بما يراه طرحاً محايداً وموضوعياً، محملاً المسؤولية لبعض الداخل الإسلامي وللبعض الآخر من الخارج.

وأكد معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، الدور المهم والبارز الذي يقوم به الإعلام والفكر بشكل عام.

المفوضية السامية للأمم المتحدة تثمن مبادرات الرابطة لإغاثة اللاجئين

الرياض – «الرابطة»

استقبل معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى في مكتبه بالرياض، سعادة الممثل الإقليمي بالمفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، حيث ثمّنت المفوضية مبادرة رابطة العالم الإسلامي في إغاثة اللاجئين.

الأمين العام للرابطة يلتقي رئيس مجلس علماء باكستان

الرياض – «الرابطة»

استقبل معالي الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى في مكتبه بالرياض، فضيلة رئيس مجلس علماء باكستان الشيخ طاهر محمود الأشرفي. وتناول اللقاء بحث الموضوعات ذات الاهتمام المشترك.

وزير الخارجية يستقبل الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي

الرياض: واس

استقبل صاحب السمو الأمير فيصل بن فرحان بن عبدالله وزير الخارجية، بمكتبه في ديوان الوزارة في الرياض، معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى.

وجرى خلال الاستقبال استعراض أوجه التعاون بين الجانبين بما يخدم القضايا الإسلامية، ومناقشة عدد من الموضوعات ذات الاهتمام المشترك.

حضر الاستقبال وكيل الوزارة للشؤون الدولية المتعددة عبدالرحمن بن إبراهيم الرسي.

الرابطة تستضيف رئيس وزراء البوسنة والهرسك ورئيس حزب العمل الديمقراطي

جدة – «الرابطة»

استضافت رابطة العالم الإسلامي دولة رئيس مجلس وزراء البوسنة والهرسك السيد دنيس زويزديتش، ورئيس حزب العمل الديمقراطي السيد باكر عزت بيغوويتش والوفد المرافق لهما.

وقد عبّر الوفد عن تثمينه واعتزازه الكبير بجهود الرابطة حول العالم.

كما ثمّن دولة رئيس مجلس الوزراء في البوسنة والهرسك دنيس زويزديتش مبادرات معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى للتقارب الإيجابي بين أتباع الأديان والثقافات وتعزيز الصداقة بين الشعوب من أجل عالم أكثر محبةً وتعايشاً وسلاماً.

رابطة العالم الإسلامي تنجز مشروع إعادة تأهيل قنوات الري المائية في مقديشو

العيسى مع عدد من المستفيدين من مشاريع الرابطة في القارة الإفريقية

مقديشو:

انتهت رابطة العالم الإسلامي من تنفيذ مشروع إعادة تأهيل قنوات الري المائية على مجرى نهر شبيلي الذي يغذي أكثر من ٣٠٠ هكتار من الأراضي المستصلحة في منطقة جوهر جنوب العاصمة الصومالية مقديشو.

وأوضح معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الشيخ د. محمد بن عبدالكريم العيسي أن الرابطة عبر هيئتها العالمية للإغاثة والرعاية والتنمية تضطلع بجهود متواصلة في العمق الإفريقي وتركز مع الأعمال الإغاثية على الأعمال التنموية ليكون عطاؤها مستمراً. وقال إن الرابطة لا تفرق في ذلك بين المستحقين بل تقدم خدماتها للجميع كما هي رحمة الإسلام التي جعلت في كل كبد رطبة أجرا، مؤكداً أن لدى الرابطة عبر هيئتها العالمية برامج متعددة في العمق الإفريقي، شملت قرى في دول كثيرة فضلاً عن كفالة الأيتام والأرامل وتوزيع المساكن.

وأوضح سعادة الأمين العام للهيئة العالمية للإغاثة والرعاية والتنمية الأستاذ عبدالرحمن المطر أن الهيئة التابعة لرابطة العالم الإسلامي وبتوجيه ومتابعة من معالي الشيخ العيسى حرصت على برامج تمكين السكان من الاستفادة من الموارد الطبيعية، وأن تلك القنوات المائية المشمولة بالإغاثة وبرامجها التنموية العاجلة تمثل العمود الفقري للزراعة في منطقة جوهر جنوب مقديشو؛ وتعطل انسياب المياه فيها كان نتيجة لكثرة الترسبات الترابية وتراكم النفايات طيلة العشرين عامًا الماضية مما أدى إلى توقف أعمال الزراعة التي تعتبر أساس التنمية في هذه البلاد.

وبيَّن المطر أن تشغيل هذه القنوات يشكل عصباً مهماً لدى المزارعين، ويحدث تنمية وحراكًا اقتصاديًّا كبيراً من خلال إنتاج المحاصيل الزراعية التي تشتهر بها هذه البلاد

العيسى يقف على تنفيذ أحد مشاريع الرابطة في القارة الإفريقية

ولا سيما أن أعداد المستفيدين من إعادة تشغيل هذه القنوات يتجاوز ٦٥٠ أسرة يعيشـــون في ٤٦ قرية مختلفة بحيث تتمكـــن كل أسرة من اســـتصلاح ٢,٥ هكتار على ضفاف هذه القنوات التي تمتد بعمق أربعة كلم وبعرض وارتفاع يتجاوز المترين. وأشار إلى أن الهيئة قد أنهت دراسة مشروع متكامل لتنمية المجتمعات المحلية عن طريق مشروع زراعي بالتعاون مع الجهـــات المحلية لإعادة تأهيـــل قناة للري بمنطقة كسمايو بطول ســـتة كلم، بهدف تمكين أكثر من ٢٠٠ أسرة من استغلال ٣٠٠ هكتار من الأراضي الزراعية لصالح الســـكان المحليين؛ باتباع المعايير الدولية في تطبيق برامج وأهداف التنمية المستدامة، خصوصاً من خلال إنشاء الجمعيات الزراعية وفق الإجراءات الرســـمية والقانونية لتوعية المزارعين بأفضـــل الطرق لزراعة المحاصيل، فضلاً عن توزيع كميات كبيرة من البذور والأدوات الزراعية على المزارعين المجاورين لهذه القنوات.

❖ العيسى: عملنا في العمق الإفريقي يجمع بين الإغاثي والتنموي

جدير بالذكر أن رابطة العالم الإســـلامي تنفذ حزمة كبيرة من المشـــاريع التنموية والزراعية في مناطق متعددة من قارة إفريقيا كاســـتصلاح الكثير من الأراضي الزراعية وتوفير المياه وحفر الآبار وإنشاء السدود الترابية، وستباشر الهيئة قريباً اعتماد إنشاء مشروع لتخزين وحفظ المياه في وادي هلابا شمال الصومال واستصلاح مساحة كبيرة من الأراضي الزراعية جنوب هيرجيســـا لتمكين آلاف النازحين من الكسب والعيش من خلال الجمعيات التعاونية الرسمية المعتمدة.

العمل الإسلامي بمعانيه الإنسانية الرفيعة يُترجم رحمة الإسلام بالجميع

وفق مبادرة معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الشيخ الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى لمشاريع التنمية المستدامة "أداءً لرسالة الرابطة" تم إعادة تأهيل قنوات الري المتفرعة من نهر شبيلي بالصومال لمساعدة ٤٦ قرية.

الوسائل:

- مشاركة المجتمع المحلي
- تجديد المشروع موسمياً
- التوسع في الإنتاج
- ضم أراضٍ ومزارعين جدد
- إنشاء جمعيات تعاونية
- تشجيع العمل المؤسسي

الأهداف:

- تحفيز الإنتاج الزراعي
- تعزيز التنمية والاستدامة
- دعم تشغيل النازحين
- إنشاء مشاريع حيوانية
- تشييد مصنع للأعلاف
- البدء بالتصدير للخارج

عن المشروع:

- تأهيل قنوات الري
- إنقاذ ١٥١٢ هكتاراً زراعياً
- مساعدة ٢٠٠٠ أسرة
- توفير البذور

أنواع المحاصيل :

- الذرة الشامية (المحصول الرئيسي)
- السمسم
- العدس
- اللوبيا الخضراء

مدارس التعليم العتيق

المغربية

منارات العلم والمعرفة في إفريقيا

الزبير مهداد ـ المملكة المغربية

يقصد بالتعليم العتيق، التعليم التقليدي في المدارس القديمة، المنتشرة في البوادي المغربية، وخاصة في أقاليم الجنوب والصحراء الشاسعة الأطراف. وقد أضحى اليوم تعليما نظاميا تشرف عليه وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، تأطيرا وتكوينا وإشهادا.

هذا النظام التعليمي الذي يبدأ بالكتاب التعليمي، وينتهي بحلقات الدراسة بالقرويين بفاس، مرورا بالمدارس التقليدية، يعد من أقدم الأنظمة التعليمية المغربية، فقد نشأ مع دخول الإسلام، وعمَّ انتشاره في كل الحواضر والقرى، وكان هدفا لكل الراغبين في التعلم، واكتساب المعرفة الدينية واللغوية والأدبية طيلة ثلاثة عشر قرنا، قبل دخول التعليم العصري على يد الاستعمار. وعرف نهضة وتنظيما، خلال العقد الأول من هذا القرن، بعد الكبوة التي مني بها خلال الاستعمار، وأصبح منظما، مهيكلا، موحد البرامج والمناهج، محدد سنوات التعليم، مؤطرا بجملة من القوانين والمراسيم.

المدارس العتيقة

تُعد المدارس العتيقة قلاعا حصينة للعلم والمعرفة الدينية والدنيوية، ومراكز للدعوة ونشر الإسلام والثقافة العربية في القارة الإفريقية. وقد شكلت على الدوام منجما للكشف عن المواهب العلمية والأدبية، ورحما ثقافيا، تمخض وأنجب علماء أفذاذا تجاوز نفعهم وإشعاعهم مجال مدرستهم الضيق، ولمع نجمهم في الآفاق متخطيا كل الحدود.

هذا التعليم ارتبط بالحركة العلمية والفكرية التي عرفها المغرب «بفضل ما انطبع في نفس شعبه من دعوة الإسلام الصادقة إلى العلم والتعلم، ابتداءً من عهد المولى إدريس الأكبر سنة ١٧٥هـ، ومرورا بالدول المتعاقبة على الحكم في المغرب»، على حد تعبير وزارة الأوقاف في موقعها بشبكة الإنترنت. فقد تنافس المغاربة منذ القرون الإسلامية الأولى، على بناء المدارس، كما تنافسوا على بناء دور العبادة التي كانت في الغالب تؤدي وظيفة مزدوجة، تجمع بين العبادة والتعليم. وأنفق الأهالي بسخاء من أموالهم على هذه المؤسسات، يوفرون لها المؤونة، وأجور العاملين بها، والشروط

الملائمة لإيواء وإعاشة طلبة العلم المنتسبين لها. وبذلك أصبحت إقامة هذه المدارس وعمارتها بطلبة المعارف ميدان فخر واعتزاز بين القبائل المغربية.

بفضل هذه العناية، نجحت المدارس في استقطاب المتعلمين، مما أدى إلى ازدهار العلوم والمعارف العربية والإسلامية في المناطق التي شهدت إحداث أكبر عدد من هذه المؤسسات، وهي بالخصوص مناطق سوس في الجنوب الغربي للمغرب ومنطقة تافيلالت في الجنوب الشرقي ومنطقة جبالة جهة الشمال. وكان خريجو هذه المدارس من العلماء الكبار الذين تركوا بصماتهم بارزة على صفحات تاريخ الأمة الحضاري ونهضتها الثقافية والعلمية.

لكن بحلول القرن الثالث عشر الهجري، وإثر خضوع البلاد للاحتلال الفرنسي والإسباني، أصاب الفتور هذه المدارس، فتضاءل عددها، وكاد دورها أن يندثر، ولم ينجلِ عنها ضباب الإهمال إلا بعد الاستقلال.

وظائف المدارس

أدت هذه المدارس دورا مهما في الحفاظ على الدين الإسلامي، بتحفيظ القرآن الكريم بمختلف الروايات، وتعليم المناسك، وتلبية حاجات المؤمنين إلى المعرفة الدينية والفتوى والأحكام فيما يصادفهم من نوازل وقضايا، كما أسهمت بشكل بارز في الحفاظ على الوحدة المذهبية للأمة، المتمثلة في المذهب المالكي، فضلا عن إسهامها الثمين في نشر اللغة العربية والثقافة الأكاديمية في شتى العلوم، ومقاومة الزيغ الفكري والعقدي.

أما الوظيفة الأخرى فتتجسد في الإشعاع القاري لهذه المؤسسات، التي نشأت وترعرعت بفضل رعاية الأفراد والجماعات لها في كثير من مناطق سوس، ومساهمة القبائل والتجمعات السكنية في بنائها والسهر على شؤون شيوخها، واستقطبت منذ عدة قرون عددا من طلاب العلم والمعرفة من القارة الإفريقية، فنهلوا من دروسها وتسلحوا بالمعرفة الدينية، التي مكنتهم من تولي مناصب المسؤولية الدينية من إفتاء وقضاء وإمامة، وواصلوا أداء الرسالة الدعوية في بلدانهم.

قوة العلاقات المغربية الإفريقية

إن العلاقات المغربية الإفريقية موغلة في القدم، وازدادت وثوقا في عهد الدولة المرينية، التي أولت اهتماما للعلاقات الدبلوماسية مع السودان الغربي، وشملت جميع المجالات العلمية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية، فقد حرص ملوك مالي، وبخاصة منسا موسى، ومنسا سليمان، على تشجيع العلماء للقدوم إلى بلادهم، فزارها عدد من العلماء المغاربة، منهم: محمد بن الفقيه الجزولي، الذي تصاهر مع ملك مالي منسا سليمان، وكذلك صهره الفقيه المقرئ عبد الواحد، وابن شيخ اللبن، وابنه: من أهل تلمسان، ولقيه ابن بطوطة أثناء رحلته. والفقيه أبي العباس الدكّالي. وأبو عبد الله محمد بن وانسول، وقد لقيه ابن خلدون سنة (٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م)، ونقل عنه كثيراً من أخبار ملوك دولة مالي. وأبو إسحاق الساحلي الغرناطي، الذي كان له أثرٌ كبيرٌ في تقوية العلاقات مع بلاد المغرب.

ومن أوجه العلاقات العلمية بين المنطقتين حرص حكام مالي على إيفاد الطلبة السودانيين للمراكز الثقافية في المغرب على نفقتهم الخاصّة؛ فوفد كثيرٌ من الفقهاء والطلاب السودانيين على مدينة فاس للالتحاق بحلقات العلم.

ومن هؤلاء العلماء عبد الرحمن التميمي، قَدِم مع السلطان منسا موسى من أرض الحجاز وسكن تنبكت،

فوجدها حافلة بالعلماء السودانيين الذين فاقوه في العلم؛ فذهب إلى فاس للدراسة وتعميق تكوينه، وعاد إلى تنبكت، وذكر البرتلي في كتابه فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، أنه كان من أولاده وأحفاده قضاة وعلماء.

ومن هـــؤلاء العلماء الذين درســـوا في فاس كاتب موسى الذي أرســـله منسا موسى لتلقي العلم، فلمّا عاد تولى الإمامة والقضاء في تنبكت، واستمر إماماً أربعين سنة، ذكره عبد الرحمن السعدي في تاريخ السودان.

والقاضي أبو عمرو عثمان بن موسى الجاني، وكان من أهل الفضل والعدل والقيام على العلم والصرامة في الحكم، وقد لقيه ابن خلدون سنة (٧٩٩هـ/١٣٩٦م) بمصر وهو في طريقه للحجّ، ولقّبه بـــفقيه أهل غانية (غانة) وكبيرهم علماً وديناً وشهرة.

الشـــيخ المحدث الحافظ صالح بن محمد الفلاني، وهو مـــن العلماء الأفارقة الذين اشـــتهروا في خارج القارة؛ لأن إســـهاماتهم الثقافية كانت في خارجها. ولد الشـــيخ صالح الفلاني بإقليـــم فوتاجالو بغينيا عام ١١٦٦هـ، ونشأ بها، وأخذ العلم من علمائها، ثم ارتحل لطلب العلم وعمره اثنا عشر عاماً، فدخل مدينة تمبكتو ومكث فيها ســـنة، ثـــم ارتحل إلى الصحراء، فمكث عند الشيخ محمد بن ســـنة عالم الصحراء في وقته، ومكث عنده ست سنوات، ثم ارتحل إلى المغرب، ودخل مراكش ومكث بها ســـتة أشـــهر، ثم ارتحل إلى تونس وأخذ من علمائهـــا. وتواصل وفود الطلبة الأفارقة على مدارس المغرب حتى العصر الحديث، مما أدى إلى تقوية انتشار المذهب المالكي واللغة العربية في غرب إفريقيا.

ولقد انتشرت الكتب العربيـــة، وبخاصة الدينية، في بلاد الســـودان الغربي، فإلى جانب كتب التفســـير، وكتب الحديث كالصحيحين، اشـــتهرت مجموعة من المؤلفات التي كانت تُدَرَّس في مدن الســـودان الغربي ويقتنيهـــا العلماء، مثل الموطأ للإمـــام مالك، والمدونة للإمام سحنون، والرسالة لأبي زيد القيرواني، والشفاء للقاضي عياض، وغيرها.

وتحـــوز المدارس التي أنشـــأها العلماء في الأقاليم الجنوبيـــة، فضل تدريس ونشر هـــذه الكتب وغيرها، وكانت بعض المدارس تستقبل الشناقطة والسنغاليين ومواطني جنوب الصحراء، نذكر من هذه المدارس:

مدرسة أسرير: بنيت على ضفاف وادي نون بكولمين، في تخوم الصحراء بالمغرب، ســـاهمت بدورها في إثراء الحياة العلمية والدينية منذ القرن التاسع.

الْمَدرســـة الْمَحَمْدِيَّة: في قبيلة هشـــتوكة بالجنوب الغربي، ضواحي أكادير، كانت مـــن قبل القرن الثالث عشر، ثُم استفحلت بالشيخ سيدي سعيد الشريف الكثيري المتوفى نَحو عام (١٢٩٥هـ)، ثُم تتابعت فيها الدراسة إلى الآن، وقد كانت حينا تُسمى جامع الأزهر السوسي؛ لكثرة تلاميذها من سوس ومن الْحوز ومن الصحراء.

مدرسة أولاد عبد المولى: وهي مدرسة علمية عتيقة طبقت شـــهرتها الآفاق، يؤمهـــا الطلبة من كل حدب وصوب، أسســـها بقرية (أولاد عبد المـــولى) بمنطقة (بوجمادى) الفقيه ســـيدي عبد المعطـــي بن أحمد الســـباعي ســـنة ١٢١٠هـ من حر ماله، وكان لهذه المدرســـة حضور وازن في الصحراء من (وادي نون) حتى منطقة (تيرس) نظرا لتنقل مؤسســـها، وكذلك أبناؤه ما بين (الحوز) وبلاد (شنقيط).

وكان -رحمه الله- قائما بمؤونة الطلاب وتدريسهم العلم بجميع فنونه من فقه ولغة ومنطق وبيان وأدب. وكان بعضهم يفد على المدرســـة من السنغال، وغيرها من البلاد الإفريقية.

في العصر الحديث

بعد طول فتور لدور المـــدارس العتيقة بالمغرب، استطاع المغاربة أن يبعثوا الحياة في شرايينها وينفضوا عنها غبار النســـيان والضعف، فصار لها الحضور البهي والتأثير الإيجابي في نفوس كثير من الشـــباب، وأفضت إلى تكريس نزعة التدين والتمسك بكتاب الله تعالى والعيش على نهجه وهداه.

مدارس التعليم العتيق كلها أهلية، تنقسم إلى صنفين

مدارس تســـتفيد من نفقة الأهـــالي واحتضان وزارة الأوقاف والشـــؤون الإسلامية، تسلم الوزارة منحًا لبعض تلاميذهـــا وطلبتها، كما تخصص مكافآت لأســـاتذتها، وتوفر رابطة علماء المغرب والسنغال منحا لطلبتها خاصة الأفارقة من الســـنغال وســـاحل العاج والغابون وغينيا وغيرها، في حين يوفر المحســـنون بقية الحاجيات المادية لها، لتغطية ميزانيتها، وتخصيص منح لطلبتها المغاربة.

مـــدارس أهلية غـــير محتضنة، يتـــولى أمورها المحســـنون، يوفرون ميزانيتها كاملة، ولا تتوصل بأية منح أو مكافآت، وهي كثيرة.

وتستغرق الدراســـة بالتعليم العتيق ست سنوات بطور التعليم الابتدائي العتيق، وثلاث سنوات بكل من طور التعليم الإعدادي العتيق والثانوي العتيق والنهائي العتيق، ليحصل بعدها الطالب على «شـــهادة التزكية» من المجلس العلمي المحلي وبعدها «الشـــهادة العالمية» من جامعة القرويين.

مناهج التدريس بالتعليم العتيق الذي يعد حصنا منيعا أمـــام موجـــات التطرف والغلـــو والانحراف العقائدي، ترتكز بالأســـاس عـــلى الكيفية وليس على الكميـــة، والتي تبدأ بتلقين القـــرآن الكريم، باعتباره العمـــود الفقري لهذا النوع مـــن التعليم، الذي يروم الحفاظ على الهوية الدينية، التي يبقى أبرزها مشـــهد القراءة الجماعية للقرآن الكريـــم بالطريقة المغربية الصرفة (قراءة الحزب الراتب).

وقد حرصت هذه المؤسسات على التحولات ومواكبة روح العصر، مـــع ما يتطلبه مسلســـل التحديث من توظيف آليات التدبير الحديثة، وفي مقدمتها تكنولوجيا المعلومات، إذ انفتحت هذه المؤسســـات على محيطها السوســـيوثقافي، واســـتعانت بالتجهيزات الضرورية لمسايرة التطورات التي يعرفها المجال.

ارتفع عدد المتمدرسين الأجانب من ٤٨٤ طالبا عام ٢٠١٦ إلى ٦٨٤ طالبا عام ٢٠١٧، وناهز الألف ســـنة ٢٠١٨، جلهم أفارقة، مع تسجيل إقبال متزايد للطلبة الوافدين من جنسيات آسيوية.

والمؤسسات التعليمية التي تحتضن الأفارقة كثيرة، نذكر منها على سبيل المثال مدرستين بالجنوب الشرقي (تافيلالت)، وأخريين بالجنوب الغربي (سوس).

الجنوب الشرقي

مدرسة الإمام نافع بكلميمة، يتابع الدراسة بها عدد من الغينيين، وقد زارها الأمين العام للشـــؤون الدينية بجمهورية غينيا كوناكري خلال شهر نوفمبر ٢٠١٦، وتفقد أقسامها التعليمية، وأحوال الطلبة الغينيين بها، وللاطلاع على كيفية التدريس بها. فأعرب المســـؤول الغيني عن ارتياحه لبرامج ومســـتوى التعليم العتيق، واستعداده لإرســـال المزيد من الطلبة الغينيين، لحفظ القرآن الكريم وتلقي علومه بالطريقة المغربية الأصيلة.

ومدرســـة وفود الرحمان بالريصاني، تضم أيضا أعدادا من الغينيين، أطفالا يحفظون القرآن، وشـــبابا يدرسون العلوم الإسلامية.

الجنوب الغربي

مدرسة أكجكال: تحتضن مدرسة أكجكال للتعليم العتيق بقريـــة إصبويا، بإقليم ســـيدي إفني، طلبة ينحدرون من غينيـــا كوناكري، أتوا من بلدهم الأصلي خصيصا لإتمام دراستهم ولحفظ القرآن الكريم والنهل من العلوم الشرعية.

وتوفر المدرســـة لهؤلاء الطلبـــة الأفارقة الشروط الملائمة للتحصيل العلمي، ومحيطا تربويا واجتماعيا يساعدهم على الاندماج. ويستفيدون من منح دراسية، وسكن خاص بهم وإعاشة، ورعاية صحية مجانية.

ويحصل هؤلاء في نهاية مسارهم العلمي بالمؤسسة على شهادات علمية في مختلف التخصصات التي تدرس بالمدرســـة، تمكنهم من الالتحاق بالجامعات المغربية، وتفتح لهم آفاقًا عملية في بلدانهم الأصلية.

مدرسة «سيدي أحمد الصوابي» في ماسة: تحتضن كل سنة أعدادا كبيرة من الطلبة من دول إفريقيا جنوب الصحراء، خصوصا غينيا كوناكري والسنغال وساحل العاج، من أجل متابعة دراســـتهم في العلوم الشرعية، واللغات ومواد دراســـية أخرى، ما يُمكّن، بعد ذلك، من متابعة الدراســـة الجامعية، التي تُتوّج بحصولهم على شـــهادات للتعليم، تُتيح لهم فـــرص الالتحاق بالجامعات المغربية، في مختلف التخصّصات، قبل أن يحطوا الرحال ببُلدانهم الأصلية، التي تفتح لهم آفاقا واعدة وفرص شغل مهمة، استنادا إلى قيمة الشهادات المغربية.

• الخاتمة:

هذا التعليم، أفلح بشـــكل قـــوي، في إدماج الطلبة الوافدين من بلـــدان إفريقية جنـــوب الصحراء، على الرغم من اختلاف لغات حديثهم، وتقاليدهم وعاداتهم اليومية، وحداثة ســـن بعضهم، إلا أن الطبيعة الدينية لهذا التعليم، ولارتباطـــه بأمور العقيدة والدين، جعل الأهالي ينشـــئون مؤسســـاته بجوار المساجد وملحقة بهـــا، ما يتيح فرصـــة ذهبية للطلبـــة للتعلم الدائم، والارتباط المتواصل بالموضوعـــات التعليمية، وفرصة ذهبية لتطبيقها عـــلى أرض الواقع، من خلال معاينة طرق العبادة في المســـاجد، وتعرف النوازل، والإنصات إلى الفقهاء وحضور أنشطة دينية ذات علاقة بحياتهم المدرسية.

كما أن أزيد من ٧٠٪ من هذه المؤسســـات تشرف عليها جمعيات أهلية. فالجمعية التي تشرف على تدبير وتسيير مدرسة أكجكال تسهر على تلبية كل متطلبات إقامة الطلبـــة الأفارقة وطنيا، من إجـــراءات تجديد إقامتهم، وإنجاز المساطر والإجراءات القانونية اللازمة، بالإضافة إلى الســـهر على توفير أجود ظروف وشروط التعليم والإقامة.

أما محيط المدرسة، فإن السكان، قد توارثوا تقاليد وعادات استقبال طلبة العلم منذ عدة قرون، والعناية بهم، وتوفير اندماجهم في المجتمع المحلّي، هذه التقاليد المتوارثة، تســـاعد الوافدين الأفارقـــة على الاندماج في المجتمع المحلي بســـهولة ويسر، دون أن تعترضهم أية صعوبات أو تمييز، في تنقلاتهم وفي توفير ظروف تلقي العلم، أســـوة بباقي الطلبة المغاربة بالمؤسسة ذاتها. فالعـــرف المحلي يحترم طلب العلـــم، ويرعى الطلبة، ويعطف عليهم، فكرم الضيافة وحســـن الاســـتقبال المتوارثان من السكان المحليين؛ يساعدان الطلبة الأفارقة على الاندماج، والسكان، بشهادة الطلبة، يربطون معهم علاقات مطبوعة بالاحترام والمودة القوية.

إن التعليم العتيق بالمغرب، يجسد الروابط الدينية والروحية والثقافية والاجتماعيـــة وكذا التعليمية مع الدول الإفريقية، التي نجـــد تجلياتها كذلك في ارتباط وثيق مع الزوايا المغربية.

الأمين العام للمؤتمر الإسلامي الأوروبي:

ندعو إلى تأسيس حلف النيات الحسنة والإنسانية من أجل تحصين شبابنا من تيارات الغلو والتنطع

حوار: توفيق محمد نصر الله

ضيفنا هو الدكتور محمد البشـــاري الأمين العام للمؤتمر الإســـلامي الأوروبي وعضو مجمع الفقه الإســـلامي الدولي. التقينا به في هذا الحوار على هامش الندوة الدولية التي أقامتها رابطة العالم الإسلامي بعنوان (الجاليات المسلمة في البلدان غير الإسلامية: الحقوق والواجبات)، وناقشنا معه الأمور والقضايا التي تهم الشأن الإسلامي عموما والجاليات الإسلامية خصوصًا.

فمن التحديات التي تواجه هذه الجاليات في البلدان غير الإسلامية ظاهرة ما يسمى بـ «الإسلاموفوبيا»، ومنها الأســـاليب المثلى لتصحيح الصورة الذهنية لدى هذه الجاليـــات، وكيف يمكن تنظيم وتطوير أداء المراكز الإســـلامية، وكيف يمكن تحصين شـــبابنا من تيارات الغلو والتطرف، وقـــد توجهنا إلى الدكتور البشاري بأسئلتنا فجاءت إجاباته على النحو التالي:

تبني بعض الجماعات المتطرفة للتفجيرات في البلدان الغربية أعطى ذريعة للمتربصين بالتضييق على الإسلام

• ما أهم المشاكل التي تواجه الجاليات المسلمة في البلدان غير الإسلامية؟

الجاليات الإسلامية تواجه مشاكل عدة، أولا فقهية، وثانياً اجتماعية، وثالثاً سياسية، ورابعاً اقتصادية، فنحن علينا أن نتجاوز الفقه الموروث وتقديسه إلى فقه يراعي هذه الظروف الخاصة بهذه الأقليات المسلمة، والتأصيل لفقه التأسيس وليس لفقه الضرورة، بمعنى أن يكون هناك فقه خاص للأقليات المسلمة، فقه نوعي ينطلق من هذا المنطلق الجديد كأقلية دينية وبشرية في المجتمعات غير الإسلامية. أما فيما يتعلق بالمشاكل السياسية فهذه الأقليات ليست لديها مشكلات سياسية، لكن الأقليات الموجودة في الشرق أو في الهند مثلا تعاني من اضطهاد سياسي، أما فيما يتعلق بالمشاكل الاجتماعية والاقتصادية فهو التهميش الاقتصادي والاجتماعي والتهميش بسبب العنصرية وبسبب تزايد ظاهرة الكراهية للإسلام وهو ما يعرف بـ «الاسلاموفوبيا».

• على ذكر ظاهرة «الإسلاموفوبيا» كيف ترى جهود الرابطة في التصدي لهذه الظاهرة، ظاهرة الخوف من الإسلام لدى الغرب؟ وما أهم الأسباب التي تدعو إلى تزايد هذا الخوف؟

جهود الرابطة تذكر فتشكر في نشر الوعي، والدعوة إلى الوسطية والتسامح والمعايشة، والحث على التعايش بين الأديان والثقافات، ومحاربة التطرف والكراهية. وهنا لا بد من التذكير بأن الوجود الإسلامي يتأثر بتأثيرات كثيرة، سواءً أكانت داخلية أم خارجية، وأهم حدث في تاريخ الوجود الإسلامي في الغرب هي أحداث الحادي عشر من سبتمبر التي أذكت ظهور جماعات القاعدة وجماعات داعش. والكل يعلم أن الوجود الإسلامي خارج العالم الإسلامي هو خمسمئة مليون مسلم؛ أي ثلث الأمة تعيش أقلية دينية وبشرية، وبالتالي أصبحت هي إحدى العناصر المهمة في هذه المجتمعات الغربية التي تعيش فيها، وأي تعامل مع هذا الوجود خارج منطق أنهم مواطنون أعطى طابعًا عند الغربيين بأن هؤلاء المهاجرين إما أنهم أتوا لخطف أرزاقهم، أو يهددون أمنهم، ومن هنا كانت هذه الصورة النمطية عن الإسلام والمسلمين.

وهذه الصورة يكرسها الاستشراق من خلال صورة الإسلام في الكتب والمناهج الدراسية، خاصةَ كتب التاريخ، وهو اختزال متعمد ثقافياً وفكرياً. وهذه الظاهرة ظاهرة «الإسلاموفوبيا» أو كراهية الآخر هي ظاهرة ليست بجديدة، فهي ظاهرة قديمة لكنها أصبحت الآن في ذروتها، خاصة بعد ظهور ما يسمى بالظهور الإسلامي وظهور مشاعر التعبد في الأوساط الاجتماعية وفي الأوساط السياسية والثقافية، ونتيجة للجهل بالإسلام، وكما قيل: الناس أعداء ما يجهلون، وهذا ما يفسر خوف الكثير من الإسلام أو ميلهم إلى معاداته نتيجة لجهلهم الشديد بحقيقة الإسلام، خاصة أن بعضهم يستقي معلوماته عن الإسلام من مصادر قد تفتقر في كثير من الحالات إلى الموضوعية والنزاهة، إضافة إلى تبني صورة نمطية سلبية عن المسلمين، إذ يتم تحميل الإسلام مسؤولية السلوك غير السوي الذي يصدر من بعض المسلمين.

• ما مـــدى تحملنا نحن المســـلمين جزءًا من تبعات هذا الخوف من الإسلام بسبب السلوك غير الســـوي الذي يصدر من بعض المسلمين وبسبب ابتعادنا عن هدى الإسلام وعدم اختيارنا للخطاب المناسب؟

نحن نتحمل جزءًا من تبعات ذلك بلا شك، وأسباب «الإســـلاموفوبيا» كثيرة، وأنا صدر لي كتاب في عام ٢٠٠٤م حول صورة الإسلام في الإعلام الغربي بعد أحداث الحادي عشر من ســـبتمبر. من هذه الأسباب الصورة المختزلة تاريخياً ما يسمى بالاستشراق أو النظرة الاســـتعلائية الاستعمارية للرجل الأبيض في الحضارة الغربية. والآن في السنوات العشر الأخيرة، بســـبب تصرف المســـلمين واعتداءاتهم وفتاواهم وتصريحاتهم ومعامـــلات البعض منهم، والتي مع الأسف لا تتصل بسماحة الإسلام وبرحمته، فبعض المسلمين وبعض الجماعات المتطرفة أظهرت الإسلام بأنه دين العنف، تجد ســـفاحاً يقتل طفلا ويقتل امرأة ويفجر نفســـه، دون أن يكون لديه أي نوع من الإنسانية، وبالتالي نحن علينا مسؤولية كوجود، وعلينا مســـؤولية من خلال المراجع الفقهية، لكن لم تكن لدينا الشـــجاعة للتصدي لظاهرة التطرف، فكانـــت هناك محاباة مع بعـــض عناصر التطرف بحكم التعددية الفكرية أو التعددية الفقهية، وبحكم أنه رأي فقهي، وإن كان هو مجرد رأي شـــخصي. ولا شـــك أن ســـوء تطبيق البعض من الجماعات للإسلام، من خلال تبني تيار التشدد والعنف والقتل والتفجيرات في عدد من البلدان الغربية، والتي تزعم بأنها إسلامية والإســـلام منها براء، وهذه كلها أدت إلى تصعيد المخاوف من الإســـلام وأعطت الذريعة للمتربصـــين للتضييق عليه باعتباره مســـؤولاً عن توليد الإرهاب.

علينا تجاوز الفقه الموروث إلى فقه خاص يراعي الظروف الخاصة بالأقليات

• كيف ترى زيارات معالي الأمين العام للرابطة لعدد من الدول الأوروبية والأمريكية والآسيوية؟

كانـــت زيارات موفقـــة، وكان لها مـــردود كبير على أبناء الأقليات المســـلمة، وأصبحنا نرى لأول مرة من الشـــخصيات الإســـلامية المثقفة التـــي لها بعد وإســـتراتيجية من يتحاور بأريحية مع الغرب، ومع المســـؤولين في تلك الدول من وزراء وحكومات غربية. نحن بحاجة إلى رســـالة اطمئنان، ومعالي الأمين العام لرابطة العالم الإســـلامي الشـــيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيـــسى هو عنوان هذا الاطمئنان، وعنوان هذه الرســـالة، ولهذا نحن بحاجـــة إلى كثير من هذه الزيـــارات، وبحاجة إلى وضع هـــذه الرؤية المتكاملة للنهوض بواقع الأقليات المسلمة لكي نكون جسرًا بين المنظومتين العربية والإسلامية والمنظومة الغربية، كما أننا ندعو إلى تأســـيس حلف الفضول، حلف النيات الحسنة والإنسانية من أجل تحصين شبابنا من تيارات الغلو والتنطع.

• على ذكر الشـــباب وتحصينهـــم من تيارات الغلو والتطـــرف، هل توجد عوامـــل اجتماعية ونفسية تدفع بعض الشـــباب إلى اعتناق الفكر المتطرف؟

لا شك في ذلك، فهناك أســـباب نفسية تدفع بهؤلاء الشباب إلى الالتحاق بالجماعات المتطرفة، منها التذبذب في الشخصية نتيجة عدم التنشئة السوية داخل الأسرة، كأن يكون بالأسرة عـــدد من الأبناء، ولكن لعدم كفاءة

زيارات الأمين العام للرابطة موفقة ولها مردود كبير على أبناء الأقليات المسلمة

الأب والأم أو الوالدين في التربية أو المصاحبة فقد يلجأ هؤلاء الشباب إلى عائلة أخرى، وهي العائلة الافتراضية إلى العالم الرقمي إلى الإنترنت.

• ما الأساليب المثلى لتصحيح الصورة الذهنية للجاليات الإسلامية في البلدان غير الإسلامية؟

يكون أولا بتصحيح سلوكيات المسلم حتى يكون قدوة، وثانياً لا بد من تنقية البرامج وتنقية الكتب والمناهج الدراسية من هذه الصورة النمطية، وثالثاً لا بد من اعتماد مبدأ التواصل والحوار مع رجال الدين ورجال الإعلام ورجال السياسة.

• كيف يمكن تقوية حضور المؤسسات الإسلامية وتأثيرها عالمياً؟

أنا دعوت إلى وضع معايير الجودة والأداء لهذه المؤسسات حتى ترتقي إلى مرحلة ما أسميها بتحقيق الشهود الحضاري، وبالتالي على هذه المؤسسات أن تخرج من إدارتها للشأن الديني المتمثل فقط في ممارسة الشعائر التعبدية إلى ممارسة بدائل أخرى هي البدائل الحضارية مثل التواصل والتثقيف والتثاقف، بحيث يكون هناك تبادل معرفي مع المؤسسات العلمية ومع رجال العلم ورجال الفكر.

• وماذا عن المراكز الإسلامية؟ كيف يمكن تنظيم وتطوير أدائها لتصب في هذا التوجه؟

بالنسبة للمراكز الإسلامية أوجه الشكر لآبائنا وأجدادنا الذين قاموا بتأسيس هذه المراكز، تبقى الآن مرحلة ما بعد هذه المراكز، فنحن الآن في مرحلة أخرى، وهي مرحلة النهوض والشهود الحضاري، أي ماذا سيراد من هذه المراكز، هل سيراد منها أن تكون هي حلقة التعبدات، أم أن تكون حلقة التواصل مع المكونات الاجتماعية والثقافية والفكرية لهذه المجتمعات؟ ومن هنا ندعو إلى تأسيس مراكز إسلامية حضارية لها رسالة حضارية تنطلق من الوجود ومن المقتضيات، وتنطلق من الثوابت ولها انفتاح كبير على واقعها الفكري والثقافي.

• خطابنا الديني كيف تراه؟ وكيف يمكن تطويره؟

خطابنا الديني الحالي لست راضيًا عنه، وهو بحاجة إلى تطوير، ولا بد أولا من تطوير الفقيه وتطوير الداعية، ثم إن هذا الخطاب ينبغي أن يكون مبنياً على الأصول، ومبنيًا على القواعد، ومبنيًا على السلمية والخيرية والرحمة، وأن يراعي مصالح الناس، وكما يقول علماء الأصول: أينما كانت مصلحة الإنسان فهناك شرع الله.

كشف الحجاب عما خفي من التطهر بـ«الماء»

أ. د. محمود الذوادي
الجمهورية التونسية

تَعتبر معظمُ الأديان الماء مادة تُطهّر الجسم والنفس. ومن ثم، حرص الإسلام على وجوب استعمال الماء في الوضوء عادة أكثر من مرة كل يوم لأداء الصلاة. تذهب أغلبية المسلمين في حديثها عن منافع الوضوء إلى حصرها في نظافة الجسد بالماء الطهور. ألّف الفقهاء المسلمون مجلدات حول الوضوء وشروط صحته ومبطلاته وما هي الحالات التي يجوز فيها التيمم (عدم استعمال الماء في الوضوء لإقامة الصلاة). يتحدث القرآن الكريم بوضوح حول الوضوء والتيمم: «يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنبا فاطهروا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه...» (المائدة ٦). أطنب الكثيرون في الحديث عن الفوائد الصحية للوضوء والاغتسال بالماء، فقالوا، مثلا، إن علماء الأحياء المجهرية قد أثبتوا وجود أعداد هائلة من الجراثيم في مناطق الجلد المكشوفة ويتضاعف عددها سريعا وأن أفضل طريقة للتخلص منها غسل الجلد باستمرار. وذكروا أن المضمضة كجزء من عملية الوضوء تساعد على تخفيف عدد الميكروبات في الفم إلى حد كبير. وهكذا، فسنّة المضمضة تصبح وسيلة علاجية يماثل أثرها الأدوية والمحاليل المطهرة والمداوية لأمراض الفم والأسنان واللثة. وفي عملية مناسك الوضوء بالماء تأتي منافع أخرى لكثير من عضلات الجسم. يبدأ هذا منذ لحظة الشروع في الوضوء عند غسل اليدين الذي يحرك عضلاتهما وعضلات الساعد والعضد والكتف. أما غسل الوجه ففيه تنشيط للدورة الدموية التي تفيد عضلات الوجه والرقبة. نعتقد أن ذكر هذه الأمثلة من المنافع الصحية للوضوء كاف من

مسلسل فوائد الوضوء المتعددة. لكن الاقتصار على إبراز تلك المنافع المادية للوضوء لا يشخص صورة حقه الكامل الذي يقدمه للجانب الروحي للإنسان. ومنه، تسعى بقية هذا المقال إلى إلقاء الضوء على هذا الجانب المنسي من بركة الوضوء.

الماء مصدر الحياة

ذُكرتْ كثـــيرا كلمة الماء في آيات القرآن الكريم. نختار هنا آية واحدة للكشف عن الدلالات والمعاني الرمزية للماء التـــي تتجاوز – بفضل محاولة التعمق البصير في الفهم والإدراك - المعاني والتأويلات الســـائدة عبر العصور في تفاســـير الذكر الحكيم. فالآية التي نود التأمل في دلالاتها المســـتورة عن الكثيرين هي: «أولم يـــر الذين كفروا أن الســـموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيءٍ حي أفلا يؤمنون». يجوز تأويل معنى الآية بأن السموات والأَرض كانتا لصيقتين في بعضهما البعض ثم وقع فتقهما بواسطة ماء البحار والمحيطات مما أدى إلى حدث ما يسميه العلماء بظاهرة الانفجار الكبير The Big Bang .

ربما تشـــبه نتيجة هـــذه العملية مـــا يذكره علماء الجغرافيا بخصوص وجود القارات الخمس. فعلى سبيل المثال، يرى هؤلاء العلماء أن القارة الإفريقية كانت لصيقة بجنوب القارة الأمريكية كما يظهر ذلك خاصة في معالم الفتق بين الجزء الجنوبي للقارتين. وكما هو واضح، فقد تمت عملية الفتق بواســـطة ماء المحيط الأطلسي في هذه الحالة. فأهمية الماء بعد الانفجار الكبير يتمثل في إنشـــاء ظاهرة القارات على وجه الأرض كما هي واضحة للعيان، وأن الماء هذا الســـائل المعجزة يغطـــي٣/٤ من كامل مســـاحة الأرض الشاســـعة. وإذا أمعنا النظر في حاجة المخلوقات والظواهر الطبيعية بكل أنواعها وأشكالها على وجه الأرض إلى الماء فحدّث ولا حرج. فالمدن الكبيرة طالما توجد على حافة المحيطات والبحار والأنهار أو قريبة منها. وتعتمد كل أصناف الحياة من البشر والشـــجر وغيرهما على وجه الأرض على الماء (وجعلنا من الماء كل شيء حي).

الماء شاهد على وحدانية الخالق

فالتنـــوع في جميع أصناف معالـــم الحياة التي لا تحصى على ســـطح الكرة الأرضية يشير بوضوح كامل ومطلـــق إلى ميثاق الوحدة- بمختلـــف بنودها- بين كل المخلوقات الطبيعيـــة والصناعات البشرية المتعددة. فكل تلك المخلوقات والصناعات البشرية تعتمد بقوة على الماء لكي تكون كائنات حية بالمعنى الحقيقي والمجازي للحياة في ظواهر الطبيعة الجامدة وفي الكائنات الحية الحقيقية مثل أجناس الحيوانات والـــدواب والجنس البشري بكل أصنافه العرقية وألوان بشرتـــه وطول أو قصر قاماته. فحاجة جميـــع تلك المخلوقـــات والظواهـــر الطبيعية والصناعات البشريـــة إلى الماء ترمز وتصرخ بصوت عال معلنة لمن يبصر ويســـمع أن الماء هو الحبل الرمز الرابط بينهـــا جميعا. إنه نعم الممثل الشـــاهد الرمز على معالم الوحدانية الناطقة بوحدانية الخالق الأحد الذي لم يلد ولم يولَد. فهذه الحقيقة الكبرى الثابتة يثبتها القرآن الكريم في طـــرح عقلي منطقي في الآية (لـــو كان فيهما آلهة إلا الله لفســـدتا) الأنبياء ٢٢. أي أنه لو كان هناك أكثر من خالق لكان ممكنا أن يجعل كل واحد منهم مصدر الحياة شـــيئا آخر غير الماء ومن ثم، يمكن القول إن الاستفهام الاستنكاري في آخر الآية (أفلا يؤمنون؟) يشير لا إلى مجرد الإيمان بالآلهة وإنما إلى الإيمان بوحدانية الله التي يجب استقراءها من ملاحظة عالم الشهادة حيث تحيا جميع أنواع الحيـــاة المختلفة على وجه الأرض بفضل نعمة الماء هذا السائل الأعجوبة في بث نبض الحياة في شتى أشكالها ومظاهرها.

الوضوء بالماء تذكرة بالوحدانية

يجوز للعلوم الاجتماعية الحديثة أن تنظر إلى الوضوء بالماء لدى المسلمين لأداء الصلاة على أنه شعيرة دينية يقوم بها يوميا المســـلمون قبل الصلاة أهم أحد أركان الإسلام الخمسة. أما بالنســـبة لفروع العلوم الاجتماعية المهتمة

بدراســـة عالم الرموز لدى الجنس البشري، فهي ترى في شـــعيرة الوضوء بالماء للصلاة يوميا لدى المسلمين تذكرة رمزية بليغة المعنى والإشـــارة بالبنان إلى ما هو أســـمى وأعظم في شعيرة الوضوء بالماء والمتمثل في تذكير المتوضئ بالمـــاء بوحدانية الله لما في هذا الســـائل العجيب لظهور جميع أنماط الحياة من شـــهادات كاشفة لوحدانية الله. فهذه التذكرة الرمزية للماء بوحدانية الخالق الواحد الأحد أهم بكثير من مجرد فائدة النظافة لأجزاء الجســـم التي تشـــملها عملية الوضوء. ففي التأويل المطروح في سطور هذا المقال، نرى رمزية الوضوء بالماء تتجلى في تذكير المسلم المصلي يوميا من عالم الشهادة بأعز ما تقوم عليه العقيدة الإســـلامية ألا وهو الإيمان المطلق والراسخ بوحدانية الله (قل هو الله أحد). فالماء، كما بيّنا، يجســـد بقوة شديدة فكرةَ وواقـــع وحدة المخلوقات على ســـطح الأرض التي تحتاج كلها إلى هذا الســـائل الثمين الـــذي لا لون له ولا رائحة لكي تكســـب رهان الحياة سواء كانت كائنات حية أو جامدة (وجعلنا من الماء كل شيء حيّ). وهكذا، يجوز القول إن صدى الصوت الذي يحدثه مس الماء باليد أثناء الوضوء أو صوت خرير المياه في السهول أو صوت سقوطه من الحنفيات هو عبارة عن تسبيح بحمد الله الواحد الأحد وبوحدة المخلوقات التي ألّفت بينها بركة الماء. إذن، فالعبرة من الوضوء بالمـــاء للقيام بالصلاة ترمز إلى قيمة مركزية في الدين الإســـلامي. وتتمثل هذه القيمة السامية والنبيلة في التأكيد على أهمية الظفر برِهان التوازن في شـــخصية الإنسان بين قطبيْ الماديات والروحانيات. فهذا التوازن هو العمود الفقري للشخصية البشرية المستقيمة. يمكن القول إن تأويلنا لشـــعيرة الوضوء في بعديْها الجسدي والرمزي يدعم ويزكي دعوة ميثاق العقيدة الإسلامية لصالح حكمة تناســـق التوازن بين قطبيْ الطبيعة البشرية (الجســـد والروح). وهو ما تشهد على فقدانه أو ضعفه الكبير أزمةُ الحضارة المادية المعاصرة في المجتمعات في الغرب والشرق كما تتجلى معالمها الواضحة ويشخصها المفكرون والعلماء الرواد البارزون منذ عقود ومـــن حضارات مختلفة على كوكب الأرض.

تصاعد الاهتمام بالجوانب الرمزية في الإنسان

هناك توجه متزايد في العلوم الاجتماعية والإنســـانية لصالح إعطـــاء أهمية كبرى إلى العوامـــل غير المادية في شخصية الإنسان لفهم سلوكه وحركة المجتمعات البشرية. فقبل بعض العقـــود أولى علماء النفس أهمية عظمى إلى الأشياء المادية الخارجية لتفسير سلوكيات الأفراد. يتمثل ذلك في المدرسة السلوكية أو ما يســـمى بالبهيفيوريزم باللغة الإنجليزية.

وفي مقابل هذا التوجه نشأ في العقود القليلة الماضية ما يعرف بعلم النفس المعرفي
Cognitive Psychologie Behaviorisme

الذي يركز على أهمية منظومـــة الرموز الثقافية من لغة وقيم وفكر وعقائد تجعل الإنســـان كائنا يتميز عن بقية الكائنات الأخرى بالتفكير الذي يسمح له بالسيادة/ الخلافة عليهـــا. وهو علم يملك القيادة اليوم ليس في علم النفس فقط وإنما يزداد تأثيره في عديد العلوم الإنسانية والاجتماعية التي يأتي في صدارتها ما أُطلق عليه اسم علم الاجتماع المعرفي، فإبراز الجوانب الرمزية الخفية والنبيلة المسبحة بوحدانية الله في الوضوء بالماء يشبه ما بيّنتْه وما تجليه البحـــوث المتواصلة في علم النفس المعرفي في رفعها للحجاب عما هو أهم في صميم جوهر طبيعة الإنسان.

رحيل الشيخ
محمد الأمين الهرري

إعداد: د. محمد تاج العروسي

توفي الشيخ محمد أمين الهرري يوم الاثنين الموافق ٧ /٣/ ١٤٤١هـ عن عمر يناهز ٩٣ سنة، ودفن بمقابر المعلاة. والشيخ الهرري من العلماء الأعلام في الحبشة، عرف بالتقوى والزهد وكثرة الذكر والتأليف.

تحصيله العلمي

حفظ القرآن الكريم وهو صغير، ورحل إلى عدد من العلماء المشهورين في هرر وغيرها من المناطق القريبة والبعيدة في إثيوبيا لتلقي العلوم المختلفة «الفقه، والعربية، والحديث، والتفسير».

بدأ التدريس وعمره خمس وعشرون سنة، وكان يدرس من صلاة الفجر إلى العشاء الآخرة.

هاجر إلى المملكة العربية السعودية عام ١٣٩٨هـ هربًا من الشيوعية التي كانت تقتل العلماء المشهورين وأعيان البلاد، وشفع له سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، رحمه الله، للحصول على الإقامة النظامية. وبدأ التدريس بدار الحديث الخيرية سنة ألف وأربعمائة بتوجيه من سماحته، رحمه الله، بعد أن اختبره بنفسه وعرف مكانته العلمية. وقال: هذا علامة ينبغي أن يدرس بالدار، ومن بين الأسئلة التي وجهها إليه - كما أخبرني الشيخ إدريس أحمد محمد الدَّوِّيِّ أحد المقربين

إليه - إعراب قوله تعالى: «فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا» سورة مريم الآية ١٩، وقوله تعالى: «وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ» سورة يونس الآية ١٠.

وكانت دار الحديث الخيرية تحت إشراف سماحة الشيخ ابن باز، رحمه الله، بعد أن فصلت عن دار الحديث المكية التي كانت تابعة للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. وقبل أن تنفصلا كان مقر الدارين

بجياد السد، وكان مديرهما الشيخ محمد عمر، ونائبه الشـــيخ على عامر عقلان. وبعد الفصـــل بينهما كوَّن سماحة الشيخ ابن باز، رحمه الله، لجنة علمية لتسيير عمل دار الحديث الخيرية، وعين الدكتور ســـليمان بن وائل التويجري مديرًا لها. ويقوم الآن بتســـيير أمور الدار وإدارتها مجلس أعلى يضم نخبة من كبار علماء المملكة، يرأســـه ســـماحة مفتي عام المملكة العربية الســـعودية الشيخ عبد العزيز بن عبدالله بن محمد آل الشيخ، ونائبه الدكتور صالح بن عبد الله بن حميد.

تتكـــون الدار من ثـــلاث مراحل: المتوســـطة: ومدة الدراسة بها ثلاث ســـنوات، والثانوية: ومدة الدراسة بها ثلاث ســـنوات، والعالية: ومدة الدراسة بها أربع سنوات. وتمنح شـــهادة (البكالوريوس) وهي معادلة بالشهادة التي تمنحها الجامعات السعودية من وزارة التعليم العالي.

أعماله اليومية

كان الشيخ، رحمه الله، يقسم وقته تقسيمًا دقيقًا لا يفوت فيه لحظة في غير فائدة. فوقته موزع ما بين التدريس والتأليـــف والعبادة فلا تجده إلا مصليا، أو مسبحًا، أو مدرسًا، أو مؤلفًا. فعندما جعلت له إدارة الدار وقتًـــا للراحة بين حصتـــين رفض ذلك وطلب مواصلة التدريس حتـــى يكمل حصصه، وقال: أنا لا أحب أن أضيع ثانية بغـــير فائدة، وكان يحب العلم. يقول كاتبه الخاص فمـــن حبه للعلم كان يقول: «يا ليت الكتاب يدفن معي أطالع فيه في قبري وأستأنس به».

التدريس بالدار

يصلي الشيخ الفجر في الحرم، ثم يتوجه مباشرة إلى دار الحديث، ويبدأ بالتدريس في الحلقة العامة لطلاب الدار وغيرهـــم ممن يرغبون الحصول على الإجازات في العلوم المختلفة. وقد ألف كتاباً يتضمن أسانيد أربعمائة وخمســـة وثمانين كتابًـــا في مختلـــف الفنـــون يســـمى «مجمـــع الأســـانيد ومظفر المقاصيد من أسانيد كل الفنون»، أفـــرد فيه أســـانيد كل فـــن، يجيز كل طالـــب في الفن الذي يســـتجيزه، وإذا بدأ الدوام يدخل الشيخ الفصـــول ويدرس طلاب المرحلة العالية، إلى تمام الساعة العاشرة.

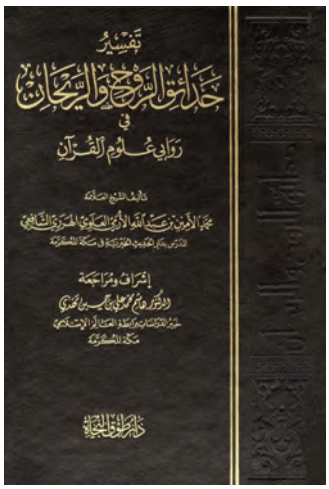

التدريس بالحرم

كانت لدى الشيخ حلقة بالمسجد الحرام بين المغرب والعشاء بإذن من رئاسة شؤون الحرمين، استمر فيها لمدة ثماني سنوات ثم توقف عنها.

التأليف

بدأ الشيخ الهرري، رحمه الله، التأليف قبل قدومه إلى المملكة، ولكنه بعد اســـتقراره في مكة قضى معظم وقته فيه، وبعض كتبه التي ألفها في الحبشة لم يستطع إحضارها معـــه عندما هرب من وجوه الشـــيوعيين، فأحرقـــت مما اضطره لإعـــادة تأليفها من جديد على الرغم من صعوبة ذلك.

وكان الشـــيخ يكتب جميع مؤلفاتـــه بخط يده حتى في آخر حياته عندما اشتد به المرض، ثم يسلمها للنســـاخ، وحوالي أربعين من كتبه قام بطباعتها على جهاز الكمبيوتر بمعاونة آخرين.

يقول الدكتور هاشـــم المهـــدي عرضنا عليه أن

نأتي له بموظف يكتب له مباشرة فرفض، وقال لنا: أنا أكتب بنفسي وإذا أشكلت عليَّ جملة أو عبارة في كتاب من الكتب، أرى مؤلف الكتاب في المنام فيخبرني المعنى المراد بالعبارة. وكان آخر كتاب (أيسر المسالك وعدة السوالك إلى ألفية ابن مالك) انتهى منه قبل وفاته بأشهر. على الرغم من أن المرض اشتد به في آخر أيامه.

منهجه في التأليف

يقضي الشيخ، رحمه الله، معظم الليل والنهار في التأليف، وإذا جاء أحد لزيارته يخرج إلى الباب ويكلمه في أغلب الأوقات، وذلك حرصًا منه على وقته، فمن يرغب مقابلته في موضوع خاص يقابله في المسجد بعد الصلوات، وحتى النساخ لكتبه لا يقابلونه إلا في ساعات محدودة للمراجعة.

يقول عمر أحمد حبيب المكي: رافقت الشيخ الهرري من عام ١٤٢٥هـ إلى عام ١٤٤٠هـ، أقابله مرة في الأسبوع، أسلم له ما انتهيت منه، وأتسلم الدفعة الجديدة من المخطوط، وغالبًا يكون اللقاء يوم السبت من بعد صلاة الفجر لمدة ساعتين أو ثلاث، يتم فيها مراجعة التعديلات، وأقيد كذلك الملاحظات والتعديلات، ويوضح لي الإشكالات. وليس لدينا وقت لشرب القهوة أو الشاي وحتى الماء. والشيخ يخصص ليلة السبت لمراجعة ما تسلم مني، ويستقبلني في الصباح لنكمل معًا المراجعة.

وينام الشيخ من الساعة العاشرة إلى الثانية عشرة ليلا، ويستمر باقي الليل في التأليف، وفي النهار ينام من بعد صلاة الظهر إلى ما قبل أذان العصر، ثم يستيقظ ويستعد للصلاة. وبعد الصلاة يتناول الغداء، ويغلق عليه غرفته إلى قرب أذان المغرب، ثم يعود للكتابة من بعد الصلاة إلى العاشرة ولا يتوقف إلا للعشاء، وكأنه يتمثل بقول الناظم:

وفي كتب العلوم لطيف معنى
أمضي في تطلبه حياتي
وأعمل مقلتي ويدي وقلبي
وأضبطه على القوم الثقات
لعلي أن أفوز بغفر ذنبي
وأظفر بالذي فيه نجاتي

ويقول الأخ عمر: جئت إلى منزل الشيخ مرة بعد العصر لأسلمه ترجمة الشيخ دحلان بطلب منه، ولم أستطع الدخول عليه وانصرفت. ولما أخبرته بذلك قال لي أنا مشغول في هذا الوقت بالتوبة والاستغفار مستقبلاً القبلة مخاطبًا ربي كأني أرى العرش وأسأله حسن الخاتمة، وهذه عادتي كل يوم، فقلت له لماذا اخترت هذا الوقت؟ قال: لأنه وقت تقابل الملائكة، وسألته عن سر قلة النوم عنده، فأجاب: قلة الأكل. وسألته لماذا جعلت الكتابة ليلاً والسهر لذلك؟ فأجابني تأتيني مساعدة من الله في هذا الوقت.

فهذا التوجه من الشيخ الهرري هو دأب العلماء قديمًا وحديثًا، ولعلي أذكر في هذا المعنى أبياتا للشيخ أبي بكر الأهدل في كتابه شرح الفرائد البهية على نظم القواعد الفقهية، يقول رحمه الله:

إن كنت تطلب في الدارين تفضيلا
وتبتغي من مليك الكون تكميلا
داوم على العلم والفعل الجميل تنل
ذكرا جميلا وتكميلا وتوصيلا
فاطلبه وادأب على تحصيله أبدا
وقم بتأليفه إن حزت تأهيلا
وانفق العمر في تحقيق حاصله
واعمر به الدار تدوينا وتحصيلا

ومما يعرف به الشيخ أنه يغرس معظم الأوقات غصن الريحان في عمامته، وهو موجود في بيته على مدار السنة؛ لأنه يزرعه حول البيت ويسقيه بنفسه.

يقول ابنه رضوان وهو من أكثر أولاده ملازمة له، كان الناس إذا رأوا الوالد بهذه الصورة في الطريق وفي الحرم وهو يذهب غالبًا إليه آخر الليل للطواف وصلاة الفجر، يتعجبون من منظره وينظرون إليه بازدراء، ويقولون رجل مجنون؛ والوالد يبتسم ويقول: الحمد لله، لست أول من يقال له ذلك، بل قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إنه مجنون، ويقول هؤلاء لا يعرفون حب الرسول صلى الله عليه وسلم للريحان ووصيته لأمته، وهو يشير إلى حديثٍ ورد في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ عُرِضَ عَلَيْهِ رَيْحَانٌ، فَلاَ يَرُدَّهُ، فَإِنَّهُ خَفِيفُ المَحْمِلِ، طَيِّبُ الرِّيحِ».

وهناك دراسة علمية تفيد بأنه مضاد للبكتيريا، ويساعد على توسيع الشرايين والحد من خطر ارتفاع ضغط الدم والنوبات القلبية، ويدخل في علاج نزلات البرد والربو، ومحاربة التهابات الجهاز التنفسي.

الكتب التي ألفها الهرري رحمه الله

وصلت مؤلفاته إلى سبعين كتابًا في الفنون المختلفة، ومعظمها طبعت بدار المنهاج على نفقة الدكتور هاشم المهدي، والباقي تحت الطباعة، وبعض هذه الكتب مجلدات، مثل:

١. حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن «ثلاثة وثلاثون مجلدًا»، يتناول فيه المؤلف المناسبة بين السور والآيات، ويعرض لأسباب النزول، ويشرح المعنى الإجمالي للآيات، ويتحدث عن أوجه القراءات، ويتطرق لمشكل الإعراب، وتصريف الكلمات، ويشير للجانب البلاغي والإعجازي للقرآن.

طبع هذا الكتاب خمس مرات حتى الآن، وتتراوح كمية الطباعة ما بين ألفين وثلاثة آلاف نسخة في كل طبعة.

واللافت للنظر أن هذا التفسير عليه إقبال كبير من طلبة العلم رغم كونه من مطولات التفاسير، فكل من يأتي من الحبشة للحج من العلماء وطلبة العلم يضعه من أولويات الكتب التي يشتريها، وهناك رسائل علمية لمرحلة الماجستير والدكتوراه يتناول فيها الباحثون جانبًا من المواضيع التي تضمنها الكتاب.

٢. شرح سنن ابن ماجة المسمى: «مرشد ذوي الحجا والحاجة إلى سنن ابن ماجه» وهو «ستة وعشرون مجلدًا»، اهتم المؤلف فيه بدراسة أسانيده، وبيان حال الرواة جرحاً وتعديلاً، وذكر طبقاتهم، وشرح الأحاديث، مع العناية بفقه الحديث، وتخريج الأحاديث والشواهد والمتابعات بذكر من خرجها من الكتب الستة.

٣. الكوكب الوهاج والروض البهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، «ستة وعشرون مجلدًا»، وهو من الكتب التي عليها إقبال شديد من طلبة العلم فقد طبع أكثر من مرة.

٤. منار الهدى على مجيب الندا شرح قطر الندى، خمسة مجلدات.

٥. المطالب السنية على الفواكه الجنية على متممة الآجرومية أربعة مجلدات.

وباقي كتبه ما بين مجلد ومجلدين.

وقد رزق الله تعالى لكتبه القبول فعليها إقبال عجيب، مع أنه لم يكن مشهورًا كغيره من علماء هذا العصر. يقول ابنه رضوان كان الوالد يدعو دائماً بهذا الدعاء «اللهم ارزقني غربة لا يعرفني فيها أحد»، فعرف الله صدقه وإخلاصه وتواضعه فرزقه القبول في أرجاء الأرض المعمورة.

ابتسموا...
سنلتقط صورة!

بقلم: آمنة بن منصور

في مستودع موحش، وعلى أرضية باردة كانت فاطمة تنـــام ملتحفة بنصف غطاء لا يكاد يقيها برد الأرضية التي تفترشها، وبالقرب منها كانت تسمع شخير (ريتا) و(مامادو)، نظرت إليهما وجســـدها يرتجف من شدة البرد متعجبة...

كيف استطاعا أن يناما في هذه الثلاجة، ويطلقا هذه السيمفونية المزعجة التي تؤرق مضجعها في كل ليلة، زيادةً على الهواء البارد الذي يعصف من كل جانب، من تحت الباب ومن النافذة المهترئة، مصدرا أزيزًا مزعجًا.

مصَّت فاطمة شفتيها بامتعاض وأغلقت عينيها في محاولة يائسة لجلب النوم الذي أبى مصالحتها مثلما يفعل مع صديقيها الصغيرين، ربما لأنها أكبر ســـناً منهما، فمعاناتها مضاعفـــة. بدأت تتقلب ذات اليمين وذات الشـــمال، ثم اســـتلقت على ظهرها ونظرت إلى الســـقف تتأمله، بدا لها سقفاً مختلفاً عن الذي عهدته طوال هذه السنين، إنه يشبه ذلك السقف.

فجأة مر شريط طويل أمام ناظريها...

قبل تســـع ســـنوات، وحين كانت في عمر الثامنة، فقدت والديها في النزاع المدمر الذي ضرب بلدها بسبب الحرب الأهلية التي أكلت الأخضر واليابس، ودفع ثمنها عشرات الأشـــخاص الأبرياء الذين لا ذنب لهم إلا أنهم ولدوا في هذه الأرض التي تعشـــق الحرب حد الثمالة. عندما كبرت فاطمة بدأت تتساءل لماذا الناس في بلادها لا يســـتطيعون العيش بســـلام؟ لماذا يختارون الموت على الحياة؟ أســـئلة كانت تعنُّ عليها دون أن تجد لها إجابة...

ما تزال تذكر تلك الليلة الحارة التي ســـمعت فيه وابلاً من الرصـــاص لم تعرف مصدره ولا جهته، إلا عندما رأت والديها يسبحان في دمهما وهما يحاولان حمايتها بظهريهما، كانت ليلة مظلمة لا قمر فيها، لم تعرف من أطلق الرصاص ولم اختار والديها؟ أصيبت بالصدمـــة والذهول من المنظر الرهيـــب، وخيل إليها للحظات أنه مجرد كابوس مزعج وسرعان ما تستيقظ لتجد أن كل ما حصل محض حلم، لكنها استســـلمت أخيرًا حين شعرت بالبلل من تحتها، وبقشعريرة باردة رغم الجو الحار، لتستيقظ على واقع مرير.

ظلت تبكي وتبكـــي إلى أن حل الصباح ملقيًا ثوبه الأبيض الحزين عليها. اجتمع أهل القرية لدفن القتلى وإســـعاف الجرحى كما يفعلون كل يوم، لم تســـمع صراخًا وعويلاً، ربما لأنهم تعودوا على هذا الأمر.

أقبل شـــيخ كبير نحوها وربت على كتفيها سائلا إياها: ألك أقارب يا صغيرة فنتصل بهم؟

هزت فاطمة رأســـها بالنفي. أكيد لها أقرباء لكنها لا تعرفهم بســـبب النزوح والحرب. لم يحدث طوال الثماني سنوات التي عاشتها في كنف أسرتها الصغيرة أن زارهم أحد من أقربائها، ولم يحدث أيضًا أن غادرت مع والديها المنزل.

كانت أيامهم تســـير بوتيرة متشـــابهة، كل صباح يخرج الأب قاصـــدًا المطحنة حيث يعمل حمالا، ليعود في المساء منهك القوى. أما أمها فتقضي يومها في أشغال البيت وإطعام الدجاجـــات الثلاثة التي تعد رأس مال الأسرة، قبل أن تنال هي الأخرى نصيبها من الرصاص ليلتها، ويتطاير الريـــش في كل مكان، وتختلط الدماء بالدماء...

حين عجز أهل القرية عـــن إيجاد من يتولى رعاية فاطمة، نقلوها إلى مســـتودع اليتامى، ذلك المستودع الكبير الذي كان فيما مضى تربى فيه الماشـــية بأعداد هائلة قبل قيام الحرب ونفوق الحيوانات الذي تسبب في انتشـــار المجاعة في القرية، فمن لم يمت بالرصاص مات بالجوع...

رائحة المكان ليســـت كرائحة بيتهم، صحيح كان بيتهم متواضعًا لكنه كان دافئاً، وكانت رائحته جميلة، حين تختلط رائحة الخبز الشـــهي الذي تعده والدتها مع رائحة البصل المقلي مع الطماطم والبيض، أكْلتُهم الأثيرة والمكررة. لم تذق هـــذه الأسرة طعم اللحم منذ مدة طويلة جدا، فحتى الدجاجات لا يمكن ذبحها وإلا فقدوا مصدر البيض الذي يأكلـــون نصفه ويبيعون نصفه الآخر...

دخلت فاطمة إلى المســـتودع بخطوات متثاقلة قبل أن يدفعها المســـؤول بقوة لتلتحق بالبقية، أغلق الباب وانصرف. أخذت تجول بنظرها هنا وهناك، لقد سمعت عن هذا المســـتودع من قبل في حديث والديها، لكنها لم تتوقع أن يكون موحشاً هكذا، فعلى أطرافه سجادٌ بال تمزق أغلبه، وتوزعت عليه بضع وسائد وأغطية قديمة تنبعث منها روائح كريهة. تكومت فاطمة على نفسها في إحدى الزوايا، وأخذت تراقب الأطفال عن كثب، كان بعضهم يبكي وبعضهم الآخر يغط في نوم عميق، وأما الكبـــار منهم الذين اقتربوا مـــن الحادية عشر فكانوا يلعبون إحـــدى اللعب التقليديـــة القديمة بالحجارة الصغيرة...

لم يكن يســـمح للأطفال فوق ســـن الثانية عشر بالبقاء في المســـتودع بل عليهم الخـــروج للعمل، أو الالتحاق بإحدى الفصائـــل المقاتلة، وأما من هم دون ذلك فيتم تغذيتهم بما يســـد رمقهم وتركهم لمصيرهم فيلتحقون بأقرانهم الذين ســـبقوهم، وإما يبتسم لهم الحـــظ وتتكفل بهم إحدى المنظمـــات الغربية لرعاية ضحايا الحـــروب، أو حتى إحـــدى العائلات الغربية الثرية...

لاحظت فاطمة تجمع بعض الفتيات حول فتاة تبدو أكبرهن سنا، وكان حديثها عن الطفلة المحظوظة التي غـــادرت بالأمس نحو نيويورك بعـــد أن تبنتها إحدى العائلات المشـــهورة. فاقتربت منهن وسألتهن عن نيويورك هل هي القرية المجاورة؟ فبدأن بالضحك عليها وهن يتقلبن فوق الســـجاد محدثات زوبعة من الغبار، وبعد لحظات نطقت إحداهن:

- نيويورك أيتها البلهـــاء مدينة كبيرة بعيدة جدًا، هناك يعيش الناس في ســـعادة ورفاهية، حتى ألوانهم وعيونهم مميزة، لقد التقطوا لأسلي بالأمس عدة صور بعد أن مشطوا شعرها، وألبسوها فستاناً جميلاً بدت فيه كالأميرات، آه... كم أتمنى لو تختارني عائلة ما...

كانت الفتيات الصغيرات يستمعن إلى حديث الفتاة الشائق، وقد اتســـعت حدقة أعينهن ولمعت كأنجم في الســـماء، كما لو كن يشاهدن فيلم ساندريلا أو الأميرة النائمة التي يقبل عليها فارس فوق جواد أبيض متحديًا كل الصعاب لأخذها إلى عالم السعادة...

ارتسمت ابتســـامة صغيرة على وجه فاطمة، فكما يبدو اســـتطاعت تلك الفتيات أن ينقلنها إلى عالمهن، عادت إلى مكانها الأول متمنية بينها وبين نفســـها أن تحظى بفرصة الانتقال إلى هذه المدينة الســـاحرة... لحظات ويفتح باب المســـتودع، إنه وقت الطعام، قليل من الخبز والماء والبصل وأوراق الخس... انقض الجميع على الأكل كما لو أنهم يرونه لأول مرة، ولم تســـتطع فاطمة أن تحظى بـــشيءٍ عدا قطعة صغيرة من الخبز قاســـمتها إياها طفلة أخرى رقَّت لحالها، وهمست في أذنها قائلة:

- مرحبا، اسمي أسما، هنا لســـتِ في منزلِك حتى تحضر لك والدتك الطعام بين يديك، يجب أن تتعاركي لتحصلي على ما تســـِّدين به رمقك، المرة القادمة كوني أسرع...

ابتســـمت أســـما لفاطمة التي بادلتها الابتسامة، ثم أخذت تتأمل قطعـــة الخبز التي كانت بحجم يدها الصغـــيرة، ولم تكن في حاجـــة إلى أكلها على دفعات، بل التهمتها مرة واحدة وألقت بجســـدها النحيل على الســـجاد، فلعلها تحظى بغفوة تنقلها إلى عالم الأحلام الذي تحدثت عنه الفتيات قبل قليل...

مرَّ شـــهر كامل دون جديد يذكر ســـوى انتقال بعض الأطفال الذين بلغوا سن الثانية عشر إلى العمل بالخارج، هناك حيث ينتظرهم مصير مجهول...

كانت فاطمة قد بدأت بالتأقلم والتعايش مع الوضع الجديد. لقد كوَّنت عدة صداقات مع نزلاء المســـتودع، فهم الآن أشـــبه ما يكونون بعائلة كبيرة يتقاســـمون الطعام ومكان النوم وقسوة الحياة...

وبعد مضي ثلاثة أشهر أقبل المسؤول عن المستودع برفقة سيدة شـــقراء، فاســـتبشر الأطفال خيرًا لأنها ستنتشـــل أحدهم من براثن الفقر والجوع والحرب. وقفوا في صفٍ واحد كالمعتاد وأخذت السيدة تمر عليهم

واحدًا واحدًا، متفحصة إياهم بنظرات ثاقبة، ولم تكتف بذلك بل راحت تقلب شعرهم، وآذانهم وأفواههم... كما لو كانت ستشتري حيواناً أليفاً تخشى أن يكون مصاباً بالعدوى. وبعد طول تفحص وقع اختيارها على أسما التي طارت فرحًا، فشعرت فاطمة بحزن مضاعف؛ لأنه لم يقع عليها الاختيار ، ولأنها فقدت صديقتها المقربة.

عاد الأطفال إلى أماكنهـــم محمَّلين بأكياس اليأس وخيبة الرجاء، بينما كانت الســـيدة تمشط شعر أسما وتلبسها فســـتاناً رائعاً، لينتهي اللقاء بأخذ عدة صور كالعادة...

لم يكن الأطفال يفهمون سبب إقدام هؤلاء الغرباء على التقاط الصور كلما تبنوا طفـــلًا جديدًا، ولكنهم كانوا على اقتناع تام من أن هذا الطفل سيحظى بحياة أجمل من هذه الحياة البائسة.

وبعد عام كامل وحين بلغت فاطمة التاســـعة من عمرها جاءها الفـــرج أخيرًا، إذ وقع علبها الاختيار من سيدة غربية. عرفت ذلك من بشرتها البيضاء وعيونها الزرقـــاء ولكنتها التي لا تفهمهـــا، كل ذلك لا يهم في

نظرها ما دامت ســـتحظى ببيت دافئ وعائلة ترعاها. ومثل سابقاتها حرصت السيدة على التقاط عدة صور لفاطمة بثيابها البالية وجســـدها المتســـخ وشعرها المجعد، ثم بعد أخذها حمامًا لأول مرة وارتدائها ملابس نظيفة وجميلة وتمشـــيط شعرها بالزيت المعطر، ولم تكد تغرب شمس ذلك اليوم حتى كانت فاطمة في سماء أخرى وبلاد أخرى وهواءٍ آخر وأناس آخرين يختلفون عنها في كل شيء.

كانت فاطمة تظن أن السيدة التي تبنتها ستعاملها كفرد من العائلة، لكن الذي حصل أنها عزلتها في غرفة في العلية لا تشاركهم من متاع الحياة شيئاً، وحرصت على تعليمها لغة البلاد باستقدام مدرس خاص يعلمها المبادئ الأولية للّغة. وبعد ستة أشهر استطاعت أن تنطق عدة جمل بتلك اللغة فضـــلاً على فهم كل من يكلمها، وهنا بدأت مهمتها الجديدة، فالسيدة التي تبنتها كانت تملك قناة كبيرة على (اليوتيوب)، وكانت تستغلها لرفع عدد المشـــاهدات وزيادة مداخيلهـــا من خلال عرض ما تقدمه من أعمال إنســـانية ومن بينها تبني أطفال ضحايا الحروب ورعايتهم، وقد اســـتطاعت أن تحقق شهرة واســـعة حتى إن كبريات القنوات التلفزيونية المحلية والعالمية أصبحت تســـتضيفها لتحكي لهم عن هذه التجربة الإنسانية. وفي كل مرة تصطحب طفلاً من هؤلاء الأطفال الذين أغدقت عليهم بعطفها وإنسانيتها التي رشحتها لتكون سفيرة السلام والنوايا الحسنة...

كانـــت صدمة فاطمة أكبر مـــن أن تتحمل، ولكن ليس بيدها فعل شيء سوى الاستسلام، وقديماً فقدت الأسرة والبيت والوطن، إلا أنها كثيرًا ما كانت تتساءل هل أصدقاؤها الذين ســـبقوها يتعرضون لسياســـة الاســـتغلال هذه، أم أن حظهم كان أحسن من حظها وهم الآن يحيون في كنف عائلات صالحة؟

قطع الشخير الذي ارتفعت نبرته أكثر فأكثر شرود فاطمة، نظـــرت حولها فاســـتقبلها منظر صديقيها مامادو النيجيري، وريتا الأثيوبية المؤســـف. هما أيضًا وقعا ضحية هذه السيدة التي تتاجر بأطفال الحروب في مواقع التواصل والسوشـــيال ميديا، لتجني أرباحًا طائلة باسم الإنسانية.

أطلقت تنهيدة طويلة كادت تخترق صدرها ولم تكد تغمض عينيها حتى سمعت دقاً عنيفاً على الباب ومن ثم فتحه بقوة. كان الطارق تلك السيدة في كامل زينتها تأمرهم بالاســـتيقاظ فأمامهم يوم حافل بالتصوير في إحدى القنوات، وبعـــد أن حرصت على أخذهم لحمام سريع وارتداء ملابس لائقة، أوصتهم وصيتها المعهودة:

- لســـتم في حاجة إلى تذكيركم بضرورة الابتسامة وإظهار السعادة، طبعًا لا تنســـوا ذكر (المول) الذي زرناه مؤخرًا، وحديقة الحيوانات، ومجمع التسلية...

وبعد ســـاعتين وصلوا جميعًا إلى الأستوديو، وتم إجراء المقابلة التـــي كان بثها مبـــاشرًا، وعند انتهاء البرنامج الشهير طلب المخرج من الأطفال الوقوف لأخذ صورة جماعية قائلا:

- ابتسموا سنأخذ صورة...

في أزمة الاعتداء على مسجدي نيوزيلندا

دروس لوسائل الإعلام في التعامل مع حوادث الإرهاب

بقلم: أ. د. طارق علي حمود
كلية الإعلام – جامعة بغداد

تعدُّ التغطيـــة الإعلامية للاعتداء على مســـجدي نيوزيلندا أنموذجًا لوسائل الإعلام في كيفية التعاطي مع حوادث الإرهاب. من أول يوم حددت (جيسيندا أردرن) رئيسة وزراء نيوزيلندا مضمـــون المحتوى الإعلامي لقضيـــة الهجوم على مســـجدي النور في نيوزيلنـــدا، إذ وصفت هـــذا الهجوم بالإرهابـــي، وبذلك فقد حـــددت طريقة تعامل وسائل الإعلام العالمية مع نوعية هذا الهجوم.

وكان لتحديـــد موقف نيوزيلندا الرســـمي تجاه الحادث أثـــره المباشر، فقد أبدت الســـلطات وقوف الحكومة والشـــعب النيوزيلندي مع ضحايا الهجوم، فأعلنت الدولـــة تكفلها بجميع مصاريف دفن وتأبين ضحايا الهجوم وكفالة عوائلهم.

وبذلك حُرم منفذ الهجوم من الحصول على الشهرة والبطولة بعدم ذكر اســـمه وتكراره في خطاب رئيسة الوزارة، إذ قالت مخاطبة شعبها: «لن تسمعوني أذكر اسمه، إنه إرهابي، إنه مجرم، إنه متطرف، وأناشدكم أن تذكروا فقط أســـماء الذين ضحوا بحياتهم في هذا الحادث».

ومـــن ناحية أخرى فـــإن طريقة تغطية الإعـــلام النيوزيلنـــدي لهذا الهجوم قد كشفت القناع الذي كان يستتر به الإعلام الدولي في تغطيته للحوادث الإرهابية، حيث تشـــير دراســـة نشرتها جامعة جورجيا الأمريكيـــة نشرتها في ٢٠١٧، إلى أن الصياغة والتفاصيـــل وطريقة سرد الأحداث تختلف حسب دين منفذ الهجوم.

فغالبًا ما تستخدم كلمة (إرهابي) بشكل حصري بوصف العمليات التي ينفذها مســـلمون، بحيث إن المهاجم غير المسلم يجب أن يقتل سبعة أشخاص أكثر من نظيره المسلم ليحظى بالتغطية الإعلامية نفسها.

وأشارت الدراسة أيضًا إلى أن الإعلام الغربي عادة ما يبحث عن ذريعة تسوغ للمهاجم غير المسلم تصرفه الإرهابـــي على عكس المهاجم المســـلم الذي يظهره في سياق أن الشر جزء من تكوينه الفكري والنفسي.

فالمهاجم المسلم عادة ما يظهر في صورة الخطر الذي تجلبه الثقافات الأجنبية، أما الإرهابي الأبيض فدائمًا ما يحتاج إلى سبب ليكون شريرًا، ويعكس هذا الأمر ثقافة المجتمع الذي يشمل العاملين في الإعلام.

لقد تباينت التغطية الإعلامية في وسائل الإعلام الغربية والعربية على حد سواء لهذا الهجوم، حيث لم تخصص فترات تغطية مفتوحة أو برامج إخبارية خاصة مما يمنع هذا الهجوم الإرهابي بأن يصبح قضية رأي عام دولي، على الرغم من الحجم الهائل للهجوم وطبيعته من حيث عدد الضحايا وتصوير تنفيذ قتل الضحايا بشكل استعراضي ودموي مقزز . حتى في التغطية المكتوبة هنالك غياب واضح جدًا لتفاصيل الهجوم، فالقاتل وصل فجأة إلى مكان الجريمة واختفى... ولكن كيف؟ وكيف غادر؟ وأين ذهب؟ وكيف أعد للجريمة؟ وكم استغرق التنفيذ والتخطيط؟ كل هذه الأسئلة تثير الجمهور المتابع وتربطه بالحدث وتفرضه على أجندته. وكل هذه التفاصيل كانت غائبة مما يدفع الجمهور للتوقف عن المتابعة. وهذا ما يساعد في موت الحدث إعلامياً مع ضخامته في أقصر مدة زمنية ممكنة ربما خلال أربع وعشرين ساعة، على عكس الأحداث الأخرى التي يكون ضحاياها غير مسلمين، كهجوم شارلي إيبدو الذي استمر كقضية رأي عام دولي لأسابيع عدة.

أما من حيث طبيعة التغطية، فقد كان الضحايا من القتلى المسلمين في الظل، حيث لم يوجد في معظم التغطيات أي قصص إنسانية حول من وقعت بحقهم الجريمة... من هم الذين قتلوا؟ ما هي أعمارهم؟ هل يوجد بينهم أطفال؟ هل اتصل أحد بزوجته قبل العملية بدقائق وقال لها لن أتأخر؟ هل رأينا أي صورة لإحدى الضحايا مع عائلتها أو أطفالها؟

كل هذه التفاصيل الإنسانية التي يبرع الإعلام الغربي برصدها، وينقلها عنه الإعلام العربي عندما تكون جنسية المنفذ عربية غائبة عن هذا الحدث. وهذا الأسلوب المتمثل في تغييب الجانب الإنساني, يتكامل مع أسلوب (حجم التغطية) الذي ذكرناه لتكون النتيجة تبسيط الحدث وحصر الاهتمام به في أضيق نطاق وأقصر مدة. وأظهر الإعلام شخص المنفذ مجرد فرد على الرغم من أنه أعلن عن نفسه وقام ببث الجريمة مباشرة، وغالبية وسائل الإعلام استخدمت مصطلح المنفذ المحتمل أو المنفذ المشتبه به إلى جانب أنها لم تربط فعله بجنسيته وأصوله. وهكذا يصبح المنفذ مجرد شخص لا يعبر بالضرورة عن ثقافة مجتمعه ولا عن خطاب كراهية أو عن عنصرية مجتمع بعينه.

على العكس من ذلك، في حالة الهجوم على صحيفة (شارلي إيبدو) رأينا كيف طرحت وسائل الإعلام السؤال مباشرة حول طبيعة الثقافة العربية وأقحمت في التغطية مفاهيم جوهرية كالدين والاندماج والتخلف والتربية ...إلخ، وبالتالي لم يكن المنفذ مجرد فرد وإنما هو ممثل لثقافة وخطاب. وجرى تقديم تفاصيل عن عائلات المنفذين وأقربائهم، في حين لم يتطرق الإعلام لعائلة المنفذ أو طفولته أو تربيته في حالة نيوزيلندا.

وغالبًا ما يتم تصوير الهجوم الإرهابي الذي ينفذه عربي في دولة غربية على أنه استهداف لقيم الديمقراطية والحرية على العكس تمامًا عندما يكون المنفذ غربيًا.

وإذا ما استعرضنا بالتحليل المنهجي لتفاصيل طريقة التغطية الإعلامية لهذا الهجوم وشكل ومضمون هذه التغطية، أمكننا التوصل إلى الكيفية التي تمت بها صناعة هذا المحتوى شكلاً ومضموناً.

وقد أحصينا جملة من النصوص والفيديوهات الخاصة بهذه التغطية، وتوصلنا إلى النتائج التالية:

أولا: احتلت فكرة (إظهار حنكة الحكومة النيوزيلندية وقابليتها واستعدادها للتعامل بحزم مع

تداعيات الأزمة) المرتبة الأولى وبواقع ١٠٠ تكرار وبنسبة ٧٥٪، ويشير ذلك إلى سعي حكومي متعمد لإبراز قدرة الحكومة النيوزيلندية على إدارة الأزمات الأمنية إعلامياً بشكل حازم.

ثانيا: احتلت فكرة (إبراز تعاطف الحكومة النيوزيلندية مع عوائل ضحايا الهجوم) المرتبة الثانية وبواقع ٣٠ تكرارا وبنسبة ١٥٪. وذلك يشير إلى إعطاء انطباع دولي للاهتمام الحكومي بضحايا الحادث وعوائلهم رغم كونهم مسلمين.

ثالثا: احتلت فكرة (التعريف بدوافع الإرهابي الانتقامية من هجومه على المسجدين) المرتبة الثالثة وبواقع ١٣ تكرارا وبنسبة ١٠٪. وذلك يشير إلى تغير واضح في سياسة الحكومة تجاه العمليات الإرهابية التي يقوم بها المتطرفون اليمينيون ضد المسلمين، مما أعطى الانطباع على عدم الازدواجية في نظرة الحكومة النيوزيلندية تجاه العمليات الإرهابية ومنفذيها.

ومن ناحية أخرى فقد خصصت وسائل الإعلام العالمية تغطية واسعة للهجوم الإرهابي على المسجدين في نيوزيلندا، واختلفت بشكل كبير عن تغطياتها السابقة لهذا النوع من الهجمات، وذلك بعد الانتقادات المتزايدة بشأن تناقض تغطية وسائل الإعلام الغربية للهجمات الإرهابية وفقًا لدين مرتكبيها.

وشكّلت التغطية الإعلامية للهجوم الإرهابي على المسجدين في نيوزيلندا نقطة تحوّل مهمة في تعامل الإعلام الغربي مع الهجمات التي يكون مرتكبوها غير مسلمين، إذ أفردت وسائل إعلام عالمية تقارير مطوّلة عن الحادثة وأبدت اهتماماً واسعاً، وأكدت على تسميتها إرهابية بخلاف عدد من المرات السابقة.

واعتبر متابعون إعلاميون أن خطاب رئيسة وزراء نيوزيلندا، أعطى دروسًا لوسائل الإعلام التي لا تزال حتى اليوم تختلف في ما بينها على طريقة التعامل مع الحوادث الإرهابية، ويكمن جوهر الخلاف في أن تسليط الضوء على الإرهابيين في الإعلام يمنحهم هدفهم الذي يريدونه من شهرة وبطولة.

قالت أردرن في خطابها أمام البرلمان «سعى منفذ الهجوم على المسجدين إلى تحقيق عدة أهداف من عمله الإرهابي؛ أحدها أن يكتسب شهرة. ولهذا السبب لن تسمعوني أذكر اسمه أبداً. إنه إرهابي. إنه مجرم. إنه متطرف. وعندما أتحدث لن أذكر اسمه. وأناشدكم أن تذكروا أسماء الذين فقدوا حياتهم، بدلا من ذكر اسم من أنهى حياتهم».

وتعتبر توصيفات أردرن الصريحة للهجوم والمهاجم بالإرهاب والإجرام والتطرف من المرات القليلة التي تستخدم فيها شخصية سياسية مثل هذه الكلمات لوصف هجوم على مسلمين. ويتابع كثيرون طريقة تناول الإعلام الغربي للهجوم، بعد أن تعالت أصوات تنتقد التغطية الإعلامية الغربية غير المتكافئة للهجمات التي ينفذها مسلمون، مقابل التي تستهدف مسلمين.

وهذه الانتقادات تعززها الدراسات الغربية، ومنها دراسة أُجريت في جامعة ألاباما، ودراسة أخرى في جامعة ولاية جورجيا في الولايات المتحدة في يوليو ٢٠١٨، وسبقت الإشارة إليها.

وشملت الدراسة التغطية الإعلامية لأعمال العنف في الولايات المتحدة بين عامي ٢٠٠٨ و٢٠١٦. وبيّنت أن تغطية العمليات التي ينفذها مسلمون تزيد على التي ينفذها غير المسلمين بحوالي ٣٥٧ في المئة، وذلك رغم أن العمليات التي نفذها اليمينيون المتطرفون بلغت حوالي ضعف التي نفذها المسلمون.

لكن هذا التوجه شهد تغيرا ملحوظا في الآونة الأخيرة، بعد الانتقادات المتزايدة والدلائل الواضحة بشأن تناقض

تغطية وسائل الإعلام للهجمات الإرهابية وفقا لدين مرتكبيها.

وبالنظر إلى تغطية هجمات نيوزيلندا، نرى وسائل الإعلام الغربية ضجّت بموضوعات عن الضحايا، وقصصهم، ومظاهر الدعم التي قدمها الساسة والأفراد للضحايا وأسرهم.

وعادة ما تتشابه الصور التي تنشرها وسائل الإعلام الغربية لمنفذي الهجمات من المسلمين؛ إذ غالبًا ما يكون شخصًا طويل اللحية، عابس الوجه، يحمل السلاح، ويهدد ويتوعد بصوت عالٍ وأجش.

لكن الصورة تختلف عندما يكون المهاجم من خلفية عرقية أو دينية أخرى. فمنفذ هجوم نيوزيلندا الذي أردى خمسين قتيلاً وأوقع العشرات من المصابين، صوَّرته عديد من وسائل الإعلام الغربية على أنه «الفتى الأشقر الذي تحول إلى يميني متطرف».

ويقول أحد الباحثين الأمريكيين إن التغطية الإعلامية للحادث أبرزت المهاجم في «إطار إنساني. فهو الصبي الملائكي الأشقر، الذي ظهر في صورة تدعو إلى التعاطف كونه تعرّض للتنصر في طفولته. وبالتالي، يظهر الضحايا في هذه السردية بشكل ثانوي، على أنهم نتاج عملية تحوّل هذا الصبي إلى الشر».

وأضاف أن هذا التناول يشكّل عبئًا على الضحايا من المسلمين «فعندما يكون المهاجم مسلمًا، يقع عليهم عبء تحمل تبعات الهجوم والنأي بأنفسهم عنه. وعليهم دائمًا إثبات صحة مخاوفهم من تزايد نزعات الإسلاموفوبيا، حتى يقع هجوم كبير (مثل هجوم نيوزيلندا)، وعندها فقط تظهر مظاهر الدعم. ثم يجدون أن الإعلام يبرزهم في صورة (الآخر) وليس جزءًا من المجتمع».

وأوضح أن الفضل يعود لوسائل التواصل الاجتماعي في الزخم الذي اكتسبته قصص الدعم والتعاطف مع الضحايا المسلمين، وليس بالضرورة للتغطية الإعلامية التي طالما تجاهلت مثل هذه القصص.

ويمكن رصد تحول (في طريقة تناول وسائل الإعلام الغربية للهجمات ضد مسلمين). حيث إن بعض وسائل الإعلام الغربية قد تكون غيرت من سياساتها التحريرية – سواء عن قصد أو بدونه – وتعتبر هذه التغطية مفاجئة إلى حد ما، فقد تناولت وسائل إعلام غربية مرموقة الهجوم في إطار كونه عملاً إرهابياً، وسلطت الضوء على قصص الضحايا وتأثير اليمين المتطرف. وهو أمر يختلف عما أثبتته الدراسات من قبل، بقصر استخدام وصف الإرهاب على المهاجمين المسلمين.

وقد أشارت بعض الدراسات إلى أنه يجب دراسة هذه التغطية بشكل علمي للوقوف على أداء الإعلام الغربي بشأنها، ومدى التحول في التغطية مقارنة بهجمات أخرى ضد المسلمين وغير المسلمين.

وفي مقابل التغطية الغربية، تحقق وسائل الإعلام العربية بعض التوازن وتعمل على ملء الفراغات في السرديات الغربية.

ويؤكد أحد الباحثين أن وسائل الإعلام العربية تختلف في توجهاتها بدرجة اختلاف وسائل الإعلام الغربية نفسها، «فهناك وسائل إعلام تتبنى مواقف المسلمين... وتختلف هذه القنوات في تغطيتها عن وسائل إعلام أخرى مثل سي إن إن، وبي بي سي. في حين تتبنى بعض وسائل الإعلام العربية خطابا يتسم بالإسلاموفوبيا، بشكل يفوق أحيانا وسائل الإعلام اليمينية في الغرب. ومن ذلك ما لوحظ من توجه أقلية من الصحفيين العرب تناولوا هجوم نيوزيلندا بسردية مناهضة للمسلمين، رغم أن المسلمين هم الضحايا. وأرجع هؤلاء أسباب الهجوم إلى زيادة أعداد المهاجرين المسلمين المتشددين إلى نيوزيلندا.

من الصحافة العالمية

مدارس الأم

القوة الناعمة تحارب الإرهاب من المنازل

نقلها للعربية: نزار عبد الباقي
المصدر: صحيفة كرستيان ساينس مونيتور

وصفت صحيفة (كرستيان ساينس مونيتور) الجهود التي تقوم بها السيدة إيدت شلافر لتمكين الأمهات من تحصين أطفالهن ضد الأفكار المتطرفة بأنها عمل استثنائي، مشيرة إلى أن ما تقوم به يندرج في إطار ما بات يعرف باسم (الأمن الفكري) الذي تحرص كافة الدول على تحقيقه. وأضافت الصحيفة أن محاربة الإرهاب لا تتم فقط بالوسائل الأمنية أو المواجهات العسكرية، بل عن طريق تحصين الشباب من الوقوع في فخ عصابات الإرهاب التي تقوم بتجنيدهم، عبر ترديد الأكاذيب ومحاولات استغلال العواطف الدينية.

وقالت الصحيفة إن شلافر شعرت بالسعادة عندما نالت ستون من الأمهات في جنوب ألمانيا شهادات الدبلوم من مدرسة الأم التي قامت بإنشائها لتعليم الأمهات وتثقيفهن. وتابعت الصحيفة قائلة إن وزيرة الشؤون الاجتماعية في إقليم بافاريا بجنوب ألمانيا حرصت على حضور الاحتفال. مشيرة إلى أن شلافر بدأت تدريس مناهجها الخاصة بمدارس الأم منذ تسع سنوات، وكانت البداية في طاجيكستان للنساء اللائي كن يشعرن بالقلق من تجنيد المتطرفين لأطفالهن. أصبح البرنامج منذ ذلك الحين حركة عالمية هدفها محاربة التطرف، ليس بواسطة الجنود، ولكن عن طريق الأمهات.

تقول الصحيفة «الآن، توجد في ألمانيا أول مجموعة من الخريجات، نساء تعود جذورهن إلى سورية والجزائر. هؤلاء تعلمن ليس فقط اكتشاف العلامات المبكرة للتطرف والرد عليها بصورة مناسبة، ولكن

أيضا كيفية الاتصال بشـــكل أفضل بأبنائهن. عندما التقت شـــلافر بهؤلاء النسوة للمرة الأولى لاحظت أنهن يشـــعرن بالخجل وكان ذلك يبدو في شكل جلوسهن، حيث كن ينظـــرن للأرض، ولكن في يوم التخرج كانت رؤوســـهن عالية وهن يشـــعرن بالفخر، حيث حضر المناسبة كبار السياسيين في الولاية.

نجاح باهر

قبل بداية الحفل، أدركت السيدة شلافر أن جهودها الدؤوبة لجلب الأمهات إلى صدارة المعركة ضد الإرهاب بدأت تؤتي ثمارها. بالنســـبة للنســـاء اللائي كانت حياتهن على الهامش ولـــم يتلقين تعليمًا نظاميًا، فإن حفل التخريج كان لحظة استثنائية في حياتهن. تقول السيدة شـــلافر، وهي مواطنة نمساوية «النجاح الذي حققناه كان علامة واضحة على أن المجتمع ينظر دوماً إلى الأمهـــات على أنهن عنصر هـــام في المجتمع يحتاج إلى الثقـــة والدعم، فهن صانعات أمننا، لأنهن أقرب إلى الأطفال الذين قد يكونون في خطر».

وقد استفادت من مدرســـة الأم حوالي ثلاثة آلاف امرأة في ١٦ دولة، من تنزانيا إلى بنجلاديش إلى الدول الأوروبية بما في ذلك النمسا وبلجيكا. ومنحتها منظمة اليونسكو جائزة (أفضل نموذج للممارسات)، كما تلقت تكريمًا من شبكة الوعي بالتطرف في الاتحاد الأوروبي منذ حوالي ثلاث سنوات. قالت وزيرة العمل والشؤون الاجتماعية والأسرة والتكامل في بافاريا، إميليا مولر في حفل التخرج «لقد حققت السيدة شلافر إنجازاً مهما لإخراج الأمهات مـــن عزلتهن ولجعل أطفالهن ينظرن إليهن بمنتهى التقدير».

اهتمام مبكر

تعود الصحيفة إلى بداية اهتمام شـــلافر بقضايا المرأة، وتقول إن ذلك بدأ في فترة الستينيات من القرن المـــاضي، حيث كانت طالبة في علـــم الاجتماع. بعد أن تخرجت وعملت محاضرة وباحثة في الجامعة سافرت إلى عدة بلدان كانت تمـــر بمرحلة انتقالية، كما عملت على توثيق تجارب النساء. وتقول إن مشاهدتها للعنف والوحشية التي تمارس ضد اللاجئات وأطفالهن دفعها

لتكون ناشطة في هذا المجال.

في عام ٢٠٠١ ، أسســـت السيدة شـــلافر منظمة (نساء بلا حدود) غير الربحية. تهدف إلى تمكين النساء ليصبحن عوامل تغيـــير في مجتمعاتهن. كانت البداية عبر تخصيص خط هاتفي ســـاخن للنســـاء ضحايا التطرف في اليمن، إلى تنظيم أنشـــطة ترفيهية للنساء اللائي كن ضحايا الإبادة الجماعية في رواندا. فيما بعد قامت بتأسيس منظمة (أخوات ضد التطرف العنيف)، التي تعد أول منصة نسائية في العالم لمكافحة الإرهاب.

الخوف والعزلة

تنقل الصحيفة عن شـــلافر قولها «في عام ٢٠١٠، كنت في زيارة لطاجيكستان لمهمة بحثية، خلال حديثي مع بعض النســـاء بدأت تختمر في رأسي فكرة مدارس الأم، وذلك عندما أشارت بعض الأمهات إلى أن أبناءهن يتركون الدراســـة وينضمون إلى المتطرفين ويقطعون الاتصال بهن. كن خائفـــات ومعزولات، لكنهن أبدين حماسًا لاستعادة النفوذ على أبنائهن، لكنهن كن عاجزات وغير متأكدات من كيفية القيام بذلك. قفزت الفكرة إلى رأسي عندما قالت لي إحدى الأمهات: أعرف ما نحتاجه. نحـــن بحاجة إلى العودة إلى المدرســـة. في تلك اللحظة ولدت فكرة مـــدارس الأم في رأسي. أدركت أن الأمهات هن في خط المواجهة ضد الإرهاب. علينا تزويدهن ليس فقط بالثقة، ولكن أيضا بالأدوات والتقنيات الصحيحة للتفاعل بشكل أفضل مع أطفالهن».

لحظة فارقة

عندما شـــنّ أحد أطفال اللاجئـــين الأفغان، ولم يكن يتجاوز السابعة عشرة من العمر، هجومًا بفأس وأصاب خمسة أشـــخاص في مدينة فورتســـبورغ جنوب ولاية بافاريا، في يوليـــو ٢٠١٧، كان ذلك إيذاناً بأن الإرهاب لا يوجـــد فقط في دول بعينها، وإنمـــا في كل مكان. وتوجد جاليات في الـــدول الغربية تحتاج إلى التوعية، وأن أطفال اللاجئين والمهاجرين بحاجة أيضا إلى اهتمام مكثف. تقول شلافر إنها انزعجت من تصرفات الحكومة الفرنسية التي كانت تكتفي فقط بمعاقبة المتجاوزين للقانون وترحيلهم إلى بلدانهم، مما يؤدي إلى تعميق الفجوة بين مسؤولي الأمن الوطني والمجتمع المدني. وتواصل قائلة: «التجربة الطويلة علمتني أن الإجراءات الأمنية أو السياسية ليست قادرة على محاربة التطـــرف، وأن الأسرة يمكن أن تقوم بدور أكثر إيجابية. لذلك فإن ترك هؤلاء بمفردهم ليواجهوا الأفكار المتطرفة يبقى تصرفاً غير صحيح وأشبه ما يكون باللعب بقنابل موقوتة».

تعزيز الثقة

بعد ذلك بدأت شـــلافر الاهتمام بتأسيس مدارس الأم في عدد من الدول الأوروبية، ففي لندن على ســـبيل المثال، عملت مع مهاجر من بنجلاديش. وفي النمسا، التي تحتل المرتبة الثانية في الاتحاد الأوروبي، بعد بلجيكا، من حيث وجود المتطرفين التابعين لتنظيم داعش، استعانت شلافر بالمهاجرة الشيشـــانية مينات كوربانوفا للدخول إلى عالم المهاجرين الشيشانيين الواسع في فيينا. وتقول كوريانوفا «للأســـف فإن كثيرًا من النساء لا يدركن مدى إمكاناتهن الضخمة، ومع مدارس الأم فإنهـــن يحصلن على فرصة للتفكير في مـــا يمكنهن فعله في جـــو حقيقي موثوق به ومحمي».

في ألمانيا، اتخـــذت حكومة بافاريا خطوة مهمة عندما طلبت من السيدة شلافر إنشاء فرع لمدرسة الأم، كإجراء لمنع نشوب العنف والتصدي للكراهية في الولاية. الآن ينظر إلى الأمهات في هذه المنطقـــة على أنهن مصدرٌ مهم يمكن من خلاله الحصول على المعلومات، والمســـاعدة في إحداث التغيير، والحصول على الدعم».

أنشطة ترفيهية

أخيرًا اجتمعت حوالي ١٥ من الأمهات في مدينة ميلتزبرغ قرب فورتســـبورغ في مدرســـة الأم وخضعـــن لدورات تعليمية بمعدل يوم واحد في الأســـبوع لمدة ١٠ أسابيع، وكان لذلك دور كبير في تعزيز ثقة الأمهات بأنفســـهن، وتعليمهن كيفية ملاحظة تطور الأطفال النفسي، ومراقبة استخدامهم للإنترنت، والتعرف على حدوث تغيرات توحي بتواصلهم مع الجماعات المتطرفة.

تختم الصحيفة تقريرها بالقول «لا تقتصر الأنشطة في مدرســـة الأم على المحاضرات الجادة، فهناك أنشـــطة ترفيهيـــة»، تقول بشرى مشري وهـــي مترجمة وإحدى أعضاء فريق المدرسة «لا يقتصر الأمر على مجرد محاربة التطرف، فنحن نبدأ مـــن كوننا جميعاً أمهات. لغتنا هي لغة الأمهات».

رفض الاستسلام

كانت هناك لحظة عاطفية في المدرسة، عندما اعترفت أم إيزيدية بأنه «على الرغم من أن تنظيم داعش قتل زوجها في موطنها الأصلي في العراق، وأشعل النار في قريتها، وأخذ النساء ســـبايا، فإنها تدرك أن معظم المسلمين لا يؤيدون التنظيم وليسوا من المتطرفين».

تقول (شدن) التي طلبت استخدام اسمها الأول فقط لأسباب تتعلق بالســـلامة، إن أصولها تعود إلى سورية، وإنها هربت إلى ألمانيا برفقة ثلاثة أطفال دون سن الرابعة عشرة، وبعـــد أن تخرجت من مدرســـة الأم فإنها تؤكد تصميمها على حماية أطفالها بشكل أفضل.

إجمالاً فقد أسهمت مدرســـة الأم في ألمانيا في تخريج ٢٠٠ امرأة، من بينهن بعض النساء اللاتي سافر أبناؤهن والتحقوا بمناطـــق القتال في ســـورية، لكنهن جئن إلى مدرسة الأم لأنهن يرفضن الاستسلام.

انطباعات

حاج هندى

قصة الفوز بجائزة صحفية والحصول على فرصة نادرة للحج

د. محمد منصور الهدوي ـ الهند

ليس الخـــبر كالعيان، وليس أن تـــرى الكعبة في الصورة أو عبر شاشـــة التلفاز مثل أن تراها مواجهة ليس بينـــك وبينها حجاب. وليس أن تقرأ كتاباً يصف الروضـــة الشريفة وقبر النبي الكريـــم صلى الله عليه وسلم مثل أن تَســـبح نفسُك في تلك الأنوار وترى طيـــف الصحابة وهم جالسون بين يدي معلم الإسلام الأول.

في رحلـــة الحج تعـــرف معنى التجرد من الدنيا والإقبال على الآخرة، وتستوعب معاني التعاون والتضحية والعطاء بأحلى الصور، وتفهم مفرداتٍ طالما ســـمعتها ولم تعايشـــها مثل الحرية والمساواة والعدل والإخاء.

قصتي للحصول على فرصة الحج

كان توفيقًا عديم المثيل من عند الله المنّان في حياتي، عندما وصلت إليَّ من مجلة الرابطة إشـــارة تحمل في طيِّها بشارة سارة، وذلك أني فائز بجائزة أفضل مقال صحفي عن عـــام ١٤٤٠هـ. موضوع مقالي الذي حاز هذا الســـبق هو: (رنين الثريا : خواطر شاعرة هندية عن استكشاف حقيقة الوجود). ليس بإمكاني في هذه العجالة أن أعبر عن مدى فرحتي الآن، يا له من شعور يفوق الوصف، إنه من المســـتحيل أن أحصل على هذه الفرصة الذهبية وأنا في مقتبل العمر، حيث لم يســـبق لي الذهاب حتى للعمرة إلى مكة المكرمة، وهذا الشعور يعيشه الكثير من أبناء المسلمين في الهند عمومًا وقريتي خصوصًا، فلـــولا كنت من الفائزين لما نلت هذا الشرف العظيم.

في الهند قلما تســـتطيع الحصول على هذه الفرصة إلا وقد بلغت من الكبر عتيًـــا. يجب أن يتجاوز عمرك الأربعين أو ما يزيد على الأقل حتى تحظى بفرصة قد لا تكون حقيقية، فأحمد الله كثيرًا أن وهب لي هذا الفضـــل العظيم لزيارة بيته العتيق وانخراطي في ســـلك هذا الاجتمـــاع العالمي الكبير، حيث ملايين المسلمين من كل أنحاء العالم يشاركون في هذا المؤتمر الكوني الضخم.

وكان كل همّـــي أن يكـــون حجي مقبـــولا، فكثير من الناس كان يســـأل عن كيفية أداء الحـــج، أما بالنســـبة لي فكان همـــي القبول، وكنت أســـتحضر الأدعية التي أريد أن أقولها في الحج، فدعاء الحج مستجاب، والمرء يعود نظيفًا من ذنوبه وخطاياه كيوم ولدته أمه. إن الرحلة المقدســـة إلى الحج تجسيدٌ لقولنا إنا لله وإنا إليه راجعون، نحن بذلنا المال والوقت حتى نصل إلى تلك البقعة المباركة، يحدونا الأمل في أن نكون ضيوفًا حقيقيين على الرحمن، لأن ضيف الرحمن يلقى من الإكرام والقبول الشيء الكثير، ونســـأل الله تعالى أن يتقبل منا.

بداية رحلتي تجاه مكة

وتبدأ التحضيرات المادية والمعنوية للحج، من شراء الملابس المريحة والاحتياطات الطبية والمظلات وملابس الإحرام، أما معنويا فخير الزاد التقوى، وأفضل الذكر

لا إله إلا الله. وانطلقت رحلتي المشرفة نحو البلد الأمين من مطار كاليكوت قرب مدينتي ملابورم، وموقف الباصات في بيت الحج بمدينة كاريفور في كيرلا، وهي ترصد لي لحظات الانطلاق لهؤلاء الضيوف الذين أنعم الله عليهم بهذه الفرصة الذهبية.

هبطت طائرتي في مطار الملك عبد العزيز بجدة، وكان مندوب الرابطة ينتظرني في صالة استراحة الحجاج المسافرين بلافتة مكتوب فيها رابطة العالم الإسلامي، وتسلمت بيسر حقيبتي وأتممت إجراءات الدخول إلى المملكة العربية السعودية في سهولة.

كانت حافلة الرابطة واقفة في الخارج، ووجدت معي ضيوفًا من الشيشان أيضا، ثم انطلق ركبنا إلى مكة المكرمة، ووصلنا إلى سكن الضيافة بمشعر منى. دخلته ليلاً، وغرفتي محجوزة في الطابق الرابع مع إخوة آخرين من أمريكا ونيجيريا ورواندا. وما لبثت إلا قليلاً لأتناول طعام العشاء ثم سقطت على سريري فنمت طويلا. استيقظت الساعة الثالثة صباحًا حسب الإخبار المسبق من قسم العلاقات العامة عن تحرك الباص إلى الحرم، فوصلت إليه مع قلب يتدفق بالحنين ويساوره لوعة وروعة... لحظات لا أنساها أبدا، مررنا بها وأنا أقف في جوار المسجد الحرام. وفي هذا الجمع الكبير، يضل الكثيرون، ويفقدون الطريق، وهناك مراكز للحجاج الذين تاهت بهم السبل... وامتلأ جوفي استبشارا وانبساطا كدت أن أبكي جهرا، حين فاضت مشاعر حاج مسرور... وبعد خطوات غير معدودة، أجد أمامي تلك البناية المقدسة التي طالما تمنيت أن أراها بأم عيني، فانهمرت الدمعات هتونا.

لقد تحقق حلمي، وها هي الكعبة أمامي....

رؤية الكعبة: فرحة لا تعادلها فرحة

لا توجد لذة تضاهي لذة رؤية الحرم المكي والكعبة المشرفة لأول مرة، ولا شيء يطرب الآذان ويشنف المسامع مثل ترديد «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك»، ولا شعور بالفخر يوازي أن تلقى إخوانك في الدين من كل الأعراق والألوان من شتى أصقاع المعمورة، يلهجون بصوتٍ واحد، يتطلعون إلى رب واحد، ويلبسون ملابس واحدة، حاجاتهم مختلفة، وأدعيتهم كذلك، لكن مشاعرهم جميعًا تتوحد على الأمل نفسه بالقبول والإجابة. إنهم في ضيافة أكرم مسؤول.

جميع شخوص هذا الحشد من ضيوف الرابطة أجمعوا على أن رؤية الكعبة لأول مرة كانت علامة فارقة في كل حياتهم. أما الأخ الفاضل من أمريكا أنوكا باسل فقد أردف قائلا: إنه شعور الإنسان بتصاغر هذا الكون وجميع المخلوقات فيه أمام عظمة الخالق وجلاله سبحانه وتعالى، وكأنما أدرك مدى حاجته وافتقاره إلى الله، إلى عفوه ومغفرته ولطفه ورحمته، وأنه سبحانه هو الغني الحميد.

ويضيف باسل: عندما رأيت الكعبة للمرة الأولى في حياتي؛ أدركت أن هذه اللحظة تستحق كل الجهد والتعب والمال الذي أنفقته، تستحق كل مشقة السفر والمعاناة التي واجهناها. ردد تلك الكلمات وعيناه تذرفان من الفرح والسرور. لست أنسى يدًا لهذا الأخ الكريم، فهو الذي مهّد لي الطريق لكي أقبِّل الحجر الأسود في اليوم التالي.

الزحام كان على أشده، وبالكاد أخطو مع أخي باسل، ونحن طائفان حول الكعبة. ولكن كلما تذكرت أنني قدِمت من آخر الدنيا تلبية لنداء الله، استهين بكل المعاناة التي حولي، وأشعر بانقطاعي عن كل هذا الكون وركوني إلى الرب العظيم وحده سبحانه.

أنهينا الآن طواف القدوم، ومناسك العمرة للمتمتعين التي استغرقت أربع ساعات. كان التعب الشديد والإرهاق باديًا على الملامح والوجوه، ولكن ثمة سكينة وطمأنينة لم نعهدها من قبل، ولسان حال الجميع يقول إن الأجر على قدر المشقة، ولذلك فإن إليام محمدوو من الشيشان يقول : من حسن حظي أنني

حججت وأنا شاب يافع، إنني أتحمل المشقة وأستطيع أن أساعد الناس، لقد ساعدت امرأة مسنة في الطواف، كنت أدفع كرسيها المتحرك حول الكعبة حتى أتمّت الطواف، الحمد لله.

إنني الآن أستغل ما تبقى من الوقت في الصلاة وقراءة القرآن في بيت الله الحرام، فخلال أيام محدودة سوف أتوجه إلى عرفات، ونحن أغنياء عن الذهاب إلى منى، حيث إن سكن الضيافة للرابطة واقع في قلب مشعر منى في مكان يسمى الخيف.

هذه فرصة للتزود من عظيم الأجر والثواب في جوار الكعبة، فصلاة في المسجد الحرام تعدل مئة ألف صلاة فيما سواه من البقاع، هكذا بشّر الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم.

يوم التروية: يوم الدعة والراحة

في الثامن من ذي الحجة، الذي هو يوم التروية، يتوجه الناس إلى مِنى ويبيتون فيها استعدادًا للانطلاق إلى جبل عرفة في التاسع منه، وسمي يوم التروية لأن الناس في القديم كانوا يستقون فيه من الماء ويسقون دوابهم ومواشيهم استعدادًا ليوم طويل وشاق.

الضيوف كلهم طبعا متحمسون ومتشوقون إلى هذا اليوم الذي يمثل لهم فرصة للتقرب إلى الله. الإحرام للحج سيكون مدة أطول خلال يوم التروية وعرفة وجزءاً من يوم النحر، وستتجلى فيه معاني الانقطاع عن كل متع الدنيا وملذاتها. مظاهره المادية تتجلى في الابتعاد عن الزينة في اللباس والطيب وتهذيب الشعر وأكل الصيد الذي حرمه الله، وتتجاوز إلى المظاهر المعنوية في الابتعاد عن الذنوب صغيرها وكبيرها، والابتعاد عن الغيبة والنميمة والظلم، وتتعدى المظاهر المعنوية إلى الشعور بالمساواة والعدل والأخوة، والتحرر من كل أنواع العبودية إلا لله.

في ليلة التروية يأوي الحجاج للنوم باكراً فتنطفئ الأنوار ويستعد الحجاج لأخذ قسط من الراحة قبل البدء بيوم شاق وطويل. إنه يوم عرفة، أو يوم الحج الأكبر ، أو الركن الأعظم في الحج، والذي قال عنه صلى الله عليه وسلم «الحج عرفة».

في عرفات.. يوم الله الأعظم

بعد وقت قليل من التحرك في الباص الخاص بالرابطة وصلنا بمشيئة الله إلى المخيمات ذات التسهيلات المتطورة بعرفات، والله كان هذا أيضا رائعا بكل معنى الكلمة، فجميع الأمور مرتبة ومنظمة، وكنا نحن ننتظر تلك اللحظات الحاسمة في حياتنا. هذا يوم الله الأعظم، هذا الذي يعتق فيه الله الرقاب من النار، هذا الذي يعطي فيه الله على الذكر والدعاء ما لم يعط قبلُ قط ولا بعد، هذا اليوم الذي تشرئب فيه الأعناق إلى خالقها، ترجو أن تنال فيه الجائزة الكبرى؛ العتق من النار والتطهر من الذنوب، لا شك في أن التعب كبير، والمشقة مجهدة، وحر الشمس يلفح الوجوه.

ولكن هذا كله يهون في مقابل الجائزة العظيمة وتجليات الملك الرحمن في آخر النهار، كان الفريق يتخيل أن ساعات النهار ستكون أطول من الذكر والدعاء الذي حضّروا أنفسهم له، ولكن ما إن بدأ الوقت بالتسارع حتى أيقنوا أنهم بحاجة إلى المزيد منه للتعرض إلى نفحات الرحمة والطمأنينة والسكينة التي تهب عليهم، وكما أن كلنا أو جلنا حافظوا على أن تكون بأيديهم كتيبات الأذكار ليتلوها، ولم يكتفوا بذلك، ولكن بعضا منا دوَّنوا عليها كل من استطاعوا أن يستذكروا من أهلهم وأقاربهم وأصدقائهم في الطفولة، وأصدقائهم من العمل، متيقنين أن هذه الدقائق المعدودة التي قد لا تتكرر في الحياة كلها أثمن وأغلى من أن تضيع في المباحات فقط، ناهيك عما نهى الله عنه من الرفث والفسوق والجدال، وكما كانت رؤية الكعبة حدثًا مفصليا، فإن النفرة من عرفة عند الغروب هي الحد الفاصل بين الدنس والطهارة، بين أكداس الذنوب

والخطايا وبين شفافية المغفرة وسمو الروح والانعتاق من ربقة الطين والتراب.

يشـــعر المرء وهو يغادر هذا الصعيد الطاهر بأنه خفيـــف النفس منطلق الفؤاد نشـــيط الفكر والعقل، متوقد الشوق إلى ما عند الله، يشعر أنه ولد من جديد، يستشعر معنى قول الرســـول الكريم صلى الله عليه وسلم «رجع كيوم ولدته أمه».

مشعر مزدلفة .. ليلة آلاف النجوم

يبدو أن تجاربنا الحلوة لا تنتهي طوال هذه الرحلة المباركة، ففي مزدلفة الآن أكثر من مليونين ونصف حاج يفترشـــون الأرض ويلتحفون السماء ويعدّون النجوم كأنها أشـــبه بفنـــدق ذي آلاف النجوم، وليس خمس نجوم فقط. ومكثنا أيضًا فيها باتجاه مســـجد المشعر الحرام، في مكان جميل ومخيم بأحسن تقويم وتركيب، وليس باستطاعتي أن أشكر الله على هذه النعم الجليلة أو أشـــكر مسؤولي الرابطة على ما قدموا من جهود في سبيل تيسير سبل الحج.

كلنا نمنا كأسرة واحدة، لم يكن نومًا طويلا ولكنه كان عميقاً بقدر المشـــقة التي واجهناها طوال النهار الفائت، إلا أن النزر اليسير لم تكتحل عيونهم بالنوم. كانوا يتفكرون في يوم القيامة، إنه شـــبيهٌ بحالهم الآن، لا متاع ولا لباس ولا فـــرش ولا غطاء، إنما هو العمل والتقوى والخوف من الجليل، وانتظار الرحمة والفرج والمغفرة من الغفور الرحيم، ينتظرون الفجر، ويقضون وقتًا في التقـــاط الحصى لرمي الجمـــرات، ويلهجون بالتلبية، ألوف مؤلفة من الناس، وبنسقٍ واحد ما زالوا يرددون «لبيك اللهم لبيك».

يوم الحج الأكبر ورمي الجمرة الكبرى

في يوم الحج الأكـــبر يرمي الحجاج الجمرة الكبرى بسبع حصيات. وســـمّي كذلك لأن معظم أعمال الحج تتم فيه، والذي يليه من الأيام إنما هو تكرار، ففي هذا اليوم رمينا الجمرة الكبرى أي العقبة بسبع حصيات، وحرصنا على ذلـــك قبل الظهر، ثـــم توجهنا إلى مكة لطواف الإفاضة والســـعي، ثم حلقنـــا على الرخصة والسَعة في التقديم والتأخير بين هذه الأعمال.

يقول يعقوب من نيجيريا عن رمي الجمرة الكبرى إنه كان ميسّرًا وسريعًا، ويقول إنهم سلكوا الطريق بين منى والجمرات عبر أنفاق المشاة، استغرق ذلك بين ٤٠ و٤٥ دقيقة مشيًا على الأقدام، وعلى الرغم من كثرة عدد الحجاج فإن ذلك تم بسلاسة ويسر، فأثنى على خدمات خادم الحرمين الجلية للحجاج.

وكنت أحلق شعري لأول مرة منذ أن كبرت وبلغت هذا العمر، إنه من المشاعر الأخرى الغامرة واللحظات التي لا تتكرر. ويؤدي الجميـــع طواف الإفاضة، كان مرهقًا للغاية، ولكن لا أدري مـــن أين أتتني كل هذه القوة، الحمـــد لله، بعده أكملنا الطـــواف في أكثر من ساعتين وسط زحام كثيف من الناس، لا بد أن هذه قوة من الله أعطانا إياها حتى نذكره كثيرًا ونسبحه كثيرًا، ثم توجهنا إلى السعي بين الصفا والمروة، وهكذا أتممنا منسك سعي الحج.

يوم العيد؛ ولتكبروا الله على ما هداكم

يشرق يوم العاشر من ذي الحجة حاملاً معه ذكراً احتفاليا جديدا، هذا الذكر يشترك فيه المسلمون في كل زوايا الدنيا وليس في أرض المشـــاعر وحدها، تنطلق حناجر المؤمنين بالنـــداء: «الله أكبر الله أكبر الله أكبر لا إلـــه إلا الله والله أكبر الله أكبر وللـــه الحمد»، إنها احتفالية العيد الكبير، ومن منا لا يفرح إذ يســـمعها؟ وتمضى أيام وليالي منى في دعة ويسر وسهولة، يشعر فيها الناس بالأخوة والتـــواد، وعلى مدى أيام معدودة ترى لك جيرانـــا جددًا غير جيرانك، وأهلا وإخوانا غير إخوانك، لا شك في أن باسل الأمريكي وإليام الشيشاني يستوعبان تماما معنى الأخوة الإسلامية كما تجسدت خلال هذه الأيام.

وتتوالى أيام التشريق الثلاثة تباعا، ويشعر أصحابنا بقرب الرحيل، أرى في عيونهم فرحـــة غامرة أن أدوا ركنا عظيما من أركان الدين، وأشعر بشيء من الغصة في قلوبهم لأنهم ســـيفارقون هذه الأرض المقدسة عما قريب، كأنهم ســـيعودون إلى الحياة الدنيا الاعتيادية بعد ما عاشوا أياما معدودات بجوار الرحمن في جنات النعيم. يؤدون طواف الـــوداع، ويتوجهون إلى الكعبة المشرفة بأعين حزينة خشية ألا يكون هنالك لقاء آخر، وبقلوب راجية أن يقر الله أعينهم بموعد آخر قريب.

زيارة المدينة : حلم عالق على شغاف قلبي

كانت نفسي تحدثني ما بين الفينة والأخرى «لئن كنت حزينا على فراق البيت العتيق، فإن في القلب عزاءً ولهفة وشـــوقاً للقاء الحبيب محمد في المدينة المنورة، والسلام عليه صلى الله عليه وســـلم. وتنبعث في الأرجاء أصداء الدفوف مرحبة بقدوم الحبيب «طلع البدر علينا»، وقد آثر سائقنا للحافلة أن يستصحب موسيقى هذا النشيد العظيم ونحن نلقي تسيار رحلتنا نحو الحرم النبوي الشريف. توقفت العربة بمحاذاة الرصيف المواجه للقبة الخضراء الشريفة قرب مسجد بلال، عبرت الطريق إلى بوابة رقم ٢ بتؤدة.

ســـكينة وتأهب... حالة تملأ النفس بالســـكينة وتغمرها طمأنينة روحًا وجســـدًا بمجرد نزولي المدينة المنورة، حتى إن خطوي تبدل إيقاعه، وصارت لنظراتي معانٍ أخر ، ومرام كثيرة، فكل هذه الجبال المحيطة رآها المصطفى صلى الله عليه وســـلم بعينيه، وتلك الأرض وطأها بقدميه، فربما أضـــع عند المشي خفي في نفس المكان . وما ذلك النخل المتجاور المتراص إلا من نســـل النخيل الذي أظل الرسول وصحبه يومًا. دموع تلقائية، غزيرة، مصحوبة بحزن شـــفاف. لقد عرفت في حياتي أنواعا من البكاء، ولكن عبراتي بين يدي رســـول الله صلى الله عليه وسلم مستعصية على أي تفسير يلوح لي.

وأستحضر طيف النبي الأمين، وصور مئات الصحابة الكرام يغدون ويروحون من كل أبواب المسجد المقدس. وصليت في الروضة الشريفة وهبت علي نسائم الجنات، إنه الآن خارج حدود الزمان والمكان... إنه يســـبح في بحار النور السرمدي، يسلم على قبر الرسول وصاحبيه الكريمين، ويكاد يشـــتَمُّ رائحة المســـك وطيب الجسد المسجى الكريم. ولم أفوّت الفرصة لزيارة بعض المعالم التاريخية في المدينة، فقد زرت جبل أُحُد واستمعت إلى عرض موجز عن المعركة الخالدة التي شهدها الرسول والصحابة الكرام ضد قوى البغي والظلم. ثم توجهت إلى مسجد قباء، أول مسجد بني في الإسلام، والذي قال عنه الرسول الكريم إن صلاة فيه تعدل عمرة، وبالطبع كانت لي وقفات في مقبرة البقيع، حيث يرقد هناك الكثير من الصحابة والتابعون الأجلاء.

وداعا يا أم القرى وطيبة

رحلتي مع هذا الفريق المميز المكون من كوكبة من الشخصيات البارزين من شتى نواحي العالم بما فيها أمريكا، بريطانيا، روسيا أرمينية، فرنسا، ألمانيا. إنهم يودعون بعضهم بعضًـــا وعيونهم تذرف الدمع حارًا، كأنما عاشوا معًا من عشرات السنين.

هذان الأســـبوعان حملا لهم جميعًـــا ذكريات لا تُمحى، إنهم يتعاهدون أن يحفظوا عهدهم مع الله ومع أنفسهم أنهم سيبدؤون حياة جديدة كلها قرب من الله والتزام بتعاليم الإسلام، وتعاون مع كل الناس على البر والتقوى. وتعاهدوا أيضـــاً على ألا يفوتوا فرصة اللقاء ثانية هنا إذا ما جاد عليهـــم الزمان بمثل هذه النعمة العظيمة مرة أخرى.

أســـتطيع أن أقول إن كل شيء قد تغير في سلوكي ونظرتي وفلسفتي في الحياة، وفي تعاملي مع الناس، وفي طريقة أدائي لأعمالي الخاصة، وقبل كل هذا في علاقتي مع الله، كانت أيام الحج مدرسة حقيقية تعلمت فيها ما لم أتعلمه على مدى ســـنوات حياتـــي، الحمد لله، وبالتوفيق.

إصلاح النفس عند ابن باديس

أحمد بوعود

جامعة عبد المالك السعدي ـ المغرب

يعتبر إصلاح النفـــس من المقاصد الكبرى التي نزل بها القرآن الكريم، بل لها شـــأن كبير وحاسم في مصير الإنسان الأخروي. ومن لقي الله بنفس طاهرة نقية فاز في الدار الآخرة. من هنا فقد وجّه القرآن عناية الإنســـان المسلم إلى إصلاح نفســـه وتهذيبها حتى يكون نموذجا قرآنيا في الدنيـــا، نافعا صالحا، ويفوز برضا خالقه عز وجل في الآخرة.

وقد أسهم الشيخ عبد الحميد بن باديس -رحمه الله- إسهاما واضحا ومتميزا في مجال إصلاح النفس، سواءً من خلال تفسيره للقرآن الكريم ضمن مجالس التذكير، أم بشرحه لأحاديث النبي -صلى الله عليه وســـلم-، أم في خطبه وأحاديثه في مختلف المناسبات التي جُمعت في كتاب شامل بعنوان: آثار ابن باديس.

وقد أولى ابن باديس -رحمـــه الله- إصلاح النفس قيمة كبرى؛ إذ عدّه مدخلا رئيســـاً للإصلاح الاجتماعي والسياسي. من هنا يمكن القول إن إصلاحه كان شموليا مثمرا.

إن أصول الإصلاح عند ابن باديـــس -رحمه الله- واضحة ومتميزة، ربانية نبوية، تتمثل في القرآن الكريم والسنة النبوية وسيرة السلف الصالح.

ففي هذه الأصول الثلاثة يوجـــد ما يعرفنا بالحق، ويبصرنا في العلم ويفهمنا في الدين، ويدلنا على ســـبيل نيل السعادة في الآخرة. فكيف تعامل ابن باديس -رحمه الله- مع هذه الأصول الثلاثة؟ (انظر آثار ابن باديس).

يقســـم ابن باديس -رحمه الله- النفس البشرية إلى ثلاثة أقسام:

- قسم يصدر عنه الضرر ويعمله.
- قسم لا يريد الخير فيسعى في سلبه وانتزاعه وهو شر من الأول.
- قســـم يعمل على إيصال الشر إلى سلطان الجوارح ومالك هديها.

وهو المضغة التي إذا صلحت صلح الجســـد كله، وإذا فســـدت فسد الجسد كله. «فهو يحسن له الأشياء القبيحة ويأتيه من جميـــع النواحي على وجه النصح، وإرادة الخـــير، ويزين للإنســـان كل مـــا يرد به من القبائح، ويأتيه من خلف يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله قريباً منه متصلاً بهواه، وهذا القسم الأخير هو الذي يوســـوس بكلمة السوء مزينة الظاهر مغطاة القبح، حتى تستنزل صاحبها إلى الهلاك». وهذا القسم أعظم خطراً و أكثر شراً.

إن إصلاح النفس، بأقســـامها هاته، عند ابن باديس

-رحمه الله-، لا بد له من سلوك طريقتين هما التخلية والتحلية، وذلك حتى يمكن للإنسان أن يحقق سموا روحانيا نورانيا. فما مدلولهما عنده.

التخلية

إن إصلاح النفس عند ابن باديس -رحمه الله- مثل إصلاح البدن، فكما أن إفساد البدن يكون بتناول ما يحدث به الضرر، فكذلك إفساد النفس يكون بمقارفة المعاصي والذنوب.

من هنا وجب ابتداء الإقلاع عن ما يفسد النفس أولا، وهذا يقتضي من الإنسان التوبة.

والتوبة التي ينادي بها ابن باديس -رحمه الله- توبة شاملة، تشمل الابتعاد عن كل سلاح للشيطان وأصول الضلال. يقول رحمه الله مبينا خطر ذلك: «محبة الإنسان نفسه غريزة من غرائزه، وهو محتاج إليها ليجلب لنفسه حاجتها ويدفع عنها ما يضر بها ويسعى في تكميلها.

وهذه هي الناحية النافعة والمفيدة من هذه الغريزة، ولكنها من جهة أخرى هي مدخل من أعظم مداخل الشيطان على الإنسان فيحسن له أعماله وهو لمحبة نفسه يحب أعماله ويغتر بها، فيذهب مع هواه في تلك الأعمال على غير هدى ولا بيان فيهلك هلاكًا بعيدًا. فاستحسان المرء لأعماله هو أصل ضلاله وتزيين الشيطان لتلك الأعمال هو أحد أسلحة الشيطان. فعلى المرء أن يتهم نفسه في كل ما تدعو إليه، وأن يزن جميع أعماله بميزان الشرع الدقيق، خصوصا ما اشتدت رغبته فيه ويعظم حسنه في عينه».

إن حديث ابن باديس هذا نجد له أصلا في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ (الشمس: ١٠)، وفي حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «ألاَ وإنّ في الجسد مُضْغَة إذا صَلُحَت صَلُحَ الجسد كلّه، وإذَا فَسَدَت فَسَدَ الجسد كُلُّه ألاَ وهي القلب».

ومن الآفات التي يجب على الإنسان التخلي عنها وتطهير النفس منها يذكر ابن باديس رحمه الله آفة الشرك التي يقول عنها: «وفي الناس اليوم طوائف كثيرة يحلفون بالله فيكذبون ويحلفون بمن يعظمون من الأحياء أو الأموات فلا يكذبون. فهذه الطوائف الكثيرة قد لحقت بالمشركين وصدق رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في قوله «لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين»... وفي الناس اليوم طوائف كثيرة لها أشجار ولها أحجار تسميها بأسماء وتذكرها بالتعظيم وتذبح عندها الذبائح وتوقد عليها الشموع وتحرق عندها البخور وتتمسح بها وتتمرغ عليها. مثل فعل الجاهلية أو تزيد. فصدق عليهم رسول الله

-صلى الله عليه وسلم-: «حتى يعبدوا الأوثان». هذا كله واقع في الأمة لا شك فيه» (انظر المرجع نفسه)، وهذه آفة الآفات وأخطر الأمراض.

كما يتحدث ابن باديس رحمه الله عن آفة العجب، وهي من الشرك الأصغر، «فإذا أعجب المرء بنفسه عمى عن نقائصها فلا يسعى في إزالتها ولهى عن الفضائل فلا يسعى في اكتسابها فعاش ولا أخلاق له مصدرا لكل شر بعيدا عن كل خير. وعن العجب بالنفس ينشأ الكبر عن الناس والاحتقار لهم ومن احتقر الناس لم ير حقا ولم يعتقد لهم حرمة ولم يراقب فيهم إلاً ولا ذمة، وكان عليهم -مثل ما كان على نفسه- أظلم الظالمين وإبليس اللعين -نعوذ بالله تعالى منه- كان أصل هلاكه من عجبه بنفسه، وأنه خلق من نار، وأنه خير من آدم، فتكبر عليه فكان من الظالمين الهالكين» (نفسه).

إن هذه الآفة مما لا ينتبه له الإنسان في زماننا، وتنشأ عنها آفة أخرى هي آفة الحسد. والحاسد كما يوضح ابن باديس رحمه الله، هو «الذي قامت به صفة الحسد، وهو

الذي يحب أن تســـلب النعم من غيره، وقد تلج به هذه الصفة الذميمة فتزين له سلب النعم حتى من نفسه إذا توقف على ذلك سلبها من غيره، فهو لا يحب الخير لأحد ويتمنى أن لا يبقـــى على وجه الأرض منعم عليه. وإنما ينشأ الحســـد من العجب وحب الذات فتسول له نفسه أن غيره ليس أهلاً لنعم الله، وكفى بهذا محادة للمنعم. والحسد شر تلازمه شرور، العجب والاحتقار والكبر، وقد جمع إبليس هذه الشرور كلها، حسد آدم عجباً بنفسه، فقال: «أنا خير منه» ورآه لا يســـتحق السجود احتقاراً له... وأعظم ما ينمي الحسد ويغذيه امتداد العين إلى ما متع الله به عباده من متاع المال والبنين، ونعمة العافية والعلم والجاه والحكم، وقد نهى الله نبيه عن مد العين إلى ما عند الغير فقال: «ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى»... إن الحسد مرض نفساني معضل، ولكنه كغيره من الأمراض النفسية يعالج».

التحلية

إذا كانت تلـــك نماذج من الآفات التي تصيب النفس وتقتضي الإصلاح، فإن ابـــن باديس رحمه الله يعرض أنواعا من الأعمال التي تتقدم بالإنسان خطوات إلى الأمام في سبيل هذا الإصلاح. ويمكن أن نقسم هذه الأعمال إلى قلبية وجوارحية.

من الأعمال القلبية التي لها مهمة عظمى في إصلاح النفس يذكر ابن باديـــس رحمه الله النية. ففي شرحه لحديث «إنما الأعمال بالنيـــات»، يخلص إلى «أن العمل الديني لا يكون مقبولا حتى تقصد به طاعة الله وإن من قصد به غير ذلك فعمله مـــردود عليه، وأن أجر العامل يقل ويكثر على حسب نيته بعمله، وأنه يمكنه أن يقصد مقاصد كثيرة من الخـــير بعمل واحد، فيتضاعف ثوابه عليه بحســـب نيته وإن لم يقع ذلك فعلا بعمله، كقصد إرشاد الضال في المسجد ولم يجده، أو تعليم الجاهل ولم يلقه، وقصد الجهاد من الهجرة ومات قبله، وأمثال ذلك كثيرة». وقد أحسن صنعا رحمه الله بتذكيره بالنية لأنها أصل نجاح الأعمال كلها.

ومما له ارتباط بالنية يذكر ابن باديس الصدق.

أما في الأعمال الجوارحية فيقترح ابن باديس رحمه الله مجموعة من الأعمال نذكرها كما يلي:

قراءة القرآن

وإضافة لما ســـبق في الحديث عـــن أصول إصلاح النفس، يؤكد ابن باديس أن همم المسلمين قد تقاصرت «في هذه المدة الأخيرة عن تعليـــم القرآن وتعلمه، فقل الحافظون له، فعلى كل من نصب نفسه لإرشاد المسلمين في دينهم أن يحثهم على العناية بحفظ كتاب ربهم، وعلى الكُتَّاب أن يطرقوا هـــذا الموضوع الكثير النواحي، هذا يأتيه من ناحيـــة فضل القرآن، وذلك من ناحية اختيار المعلمين وما هي الصفـــات المطلوبة فيهم، والآخر من ناحية أســـلوب التعليم وما هو أقرب إلى التحصيل من أي الأســـاليب، ورأيه من ناحية تحسين حال المعلمين وتوفير أجرتهم، وكل هذه النواحي يلزم أن تتعدد فيها الكتابة حتى تحدث تأثيرا في المجتمع وتكون رأيا عاما في الموضوع».

الذكر

في تعليق على حديث: «اذكرونـــي بطاعتي أذكركم بمغفرتي فمن ذكرني وهـــو مطيع فحق علي أن أذكره بمغفرتي ومن ذكرني وهو لي عاص فحق علي أن أذكره بمقت»، يقول رحمه الله: «كثيرا ما يعظ المســـلم أخاه وينكر عليه تكاســـله في الواجبات ونشاطه في المنهيات فيجيب بقول إن الله غفور رحيم أو نحن أخذنا الورد عن فلان وقد ضمن لمن يذكر ورده الجنة، فليعلم المسلمون أن ذكر الله على هاتـــه الصفة ونحوها مما يوجب مقت وسخط ولعنة المولى عز وجل عليه».

ثم يخاطب المسلمين قائلا: «أيها المسلمون من وعظ

منكم فليتعظ ومـــن نهى عن منكـــر فلينته ومن أمر بمعروف فليأتمـــر «وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون».

الصلاة

في توضيح معنـــى الفرار إلى اللـــه في قوله تعالى: «ففـــروا إلى الله إني لكم منه نذيـــر مبين»، يعلق ابن باديـــس رحمه الله فيبين كيف أن الصلاة فرار إلى الله تعالى ويقول: «روى أحمد وابن جرير عن حذيفة ابن اليمان أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كان إذا حَزَبَـــهُ أمر صلّى، وفزع للصّلاة، يعني إذا نزل به مهمّ أو أصابه غمّ فـــزع للصّلاة، فبيّن لنا بالفعل أنّ الفرار إلى الله بالتّلبّـــس بطاعته وصدق التّوجّه إليه، والدّعاء والتّضرّع والخشـــوع له، والاستســـلام لدينه وشرعه والإخلاص في عبادته والاعتماد عليه، وذلك كلّه موجود على أكملـــه في الصّلاة التي هي عمـــود الدّين ومظهر كماله».

الصوم

يبين ابن باديس رحمه الله كيف أن بقاء هذا البدن وصلاحـــه يتوقفان على الغذاء. لكـــن إذا «ملأ ابن آدم بطنه كان عليه شر وعاء، وانبعث منه شر الأدواء: أسقام للبدن، وأثقال على الروح، وظلمات للعقل، فانقلب على الإنسان من الانتفاع به إلى أصعب الشر وأقسى البلاء.

وإذا اقتصر على أكلات تقيم الصلب وتمســـك البدن حصل من البدن على العمل، وسلم من آلام المرض، ونعم بالعافية.

وإذ غلبته الشـــهوة، وكان لا محالـــة منقادا للذة، فليقف دون الشـــبع ولا يملأ كل المـــلء المعدة حتى لا تثقل حركتها في الهضم، وحتى لا تنتفخ في البطن فتسد مجاري النفس، وبذلك يكون قد عدل بين أصول الحياة البدنية الثلاثة طعامه وشرابه ونفسه، فأعطى لكل واحد الثلث من بطنه.

غير أن الإنسان إن كان هكذا تغلبه الشهوة، وتقوده اللذة فإنه بمظنة أن يتجاوز ولو في بعض الأحيان العدل إلى الامتلاء. فشرع له الصوم ليقاوم شر ذلك بما فيه من راحة للمعدة ونقاء وتربية على امتلاك زمام نفســـه عن الشهوات والملذات».

وهكذا يخلص إلى أن «الصوم ضرورة لنظام الغذاء وحفـــظ الصحة البدنية وعون للإنســـان على حســـن استعماله لآلته الترابية الأرضية لترقى إلى آفاقه الروحية النورانية وكمالاته العلوية».

التحلي بالأخلاق الفاضلة

يعتبر ابن باديس الأخلاق الفاضلة التي هي موجودة في فطرة الإنسان بأصولها وتنمو بحسن التربية وتنطمس بالإهمال... ومما ينمي تلك الأخلاق ويقويها المداومة على الأعمال التي تنشأ عنها. ومن أعظم تلك الأخلاق وأدخلها في باب النهوض بجلائل الأعمال وحفظ سعادة الاجتماع خلق البذل... وإذا تربت الأمة على هذه الصفة وتدرجت إلى الكمال فيها فذلك عنـــوان نجاحها وفوزها وبلوغها غاية آمالها، وسعادتها في الدارين».

وخلاصة القول:

من خلال ما ســـبق تبين لنا أن هنـــاك فهما واقعيًا منفتحا للقرآن الكريـــم والحديث الشريف. ولا ريب في ذلـــك لأن الإمام ابن باديس رحمـــه الله مصلح تربوي اجتماعي، مرتبط بواقعه أشـــد الارتبـــاط. وقد عالجه بنصوص القرآن والحديث بما يناسب.

لقد دعـــا ابن باديس رحمه الله إلى ســـلوك طريق الإحســـان، رغم نقد التصوف وما عليه. وسلوك طريق الإحسان عنده ليس سلوك القاعدين الفارين من هموم مجتمعهم.

وفاة
فاليريا بوروخوفا

مترجمة معاني القرآن إلى اللغة الروسية

بقلم: علاء الدين فوتنزي

جمهورية الهند

رحلت عن عالمنا الأديبة الروسية والمترجمة الشهيرة فاليريا بوروخوفا، التي أصبحت تدعى (إيمان فاليريا) بعد إسلامها عن عمر ناهز ٧٦ عاما. قدمت بوروخوفا واحدة من ترجمات معاني القرآن الكريم إلى اللغة الروسية، وقد نُشرت بتمويل من دولة الإمارات العربية المتحدة في أوائل الثمانينيات الميلادية.

وتعد هذه الترجمة من الترجمات التي استأثرت باهتمام الباحثين لأنها سدت فراغًا في هذا المجال على الرغم من وجود أكثر من عشر ترجمات قبلها. ذلك أنها اعتبرت أول ترجمة على يد مسلمة، فالترجمات السابقة كانت على أيدي مستشرقين، وبطبيعة الحال عليها ملاحظات كثيرة.

ووصفت بعض الدوائر العلمية هذه الترجمة بأنها ترجمة شاعرية للقرآن، حافظت على جمال النص القرآني وروعته ورصانته، غير أن هذا التوجه نفسه هو ما صار موضع نقد باعتبار أن القرآن ليس شعرًا. ونظر البعض إليها على أنها ليست ترجمة لمعاني القرآن بالمعنى المعروف.

ويُحسب للمترجمة إيجاباً أنها سعت لتجنب سوء الفهم الذي اعترى بعض الترجمات السابقة إلى درجة أن إحدى المحاكم الروسية حظرت ترجمة ما لمعاني القرآن الكريم في وقت من الأوقات. وكانت تؤمن بأن ترجمة القرآن الكريم يجب ألا تعتمد على معرفة اللغة فقط، بل ببيئة هذه اللغة، لذلك عاشت في سوريا لتكون قريبة من روح اللغة، مما جعلها تنجو من مزالق الترجمة الحرفية للقرآن.

ذهبت إيمان «فاليريا» بنفسها بعد ترجمتها للقرآن إلى الأزهر من أجل الحصول على اعتراف بعملها وتوثيقه، فشكل شيخ الأزهر آنذاك الدكتور جاد الحق علي جاد الحق لجنة من خمسة أشخاص، ثلاثة عرب وروسيَان مسلمان يعرفون اللغتين بشكل جيد لمراجعة الترجمة. وكان للمغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان اليد البيضاء في دعم هذه الترجمة، إذ قالت فاليريا في حينها: «أرسل المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، طيب الله ثراه، رسالة إلى أكاديمية الدراسات الإسلامية في الأزهر، وأراد أن يتأكد من صحة وسلامة الترجمة، وبعد تأكيد الأزهر، بادر الشيخ زايد، إلى تمويل طباعة ٢٥ ألف نسخة».

ولدت (فاليريا بوروخوفا) مسيحية وينحدر والداها من أسرة روسية معروفة قريبة من القيصر، ومعظمهم هاجروا بعد الثورة هربا من اضطهاد ستالين. تخرجت بوروخوفا من معهد اللغات الأجنبية، وكلية الفلسفة بجامعة موسكو، كما اشتغلت محاضرة في أكاديميات علمية وأدبية روسية وعالمية عدة، وحصدت أوسمة عالمية طيلة مسيرتها. وحازت على ميدالية بعنوان (من أجل الوحدة الدينية) من الإدارة الدينية لمسلمي الإقليم الأوروبي من روسيا. وكان لها دور بارز في شؤون المسلمين بروسيا وآسيا الوسطى، حيث ساهمت مع زوجها، في تأسيس مركز الفرقان للمعارف الإسلامية في موسكو مع بداية انهيار الشيوعية، وحصلا على ترخيص رسمي من الحكومة الروسية.

قرأت فاليريا بوروخوفا القرآن مع تفسيراته المتعددة، لتجد الإيمان في الإسلام، وحسب قولها: «لدي إحساس بأنني كنت مسلمة طوال حياتي.. ولم أعرف الإسلام إلا عندما قرأت القرآن الذي أجاب على العديد من تساؤلاتي في الحياة».

تزوجت فاليريا بوروخوفا عام ١٩٧٥ من الدكتور محمد سعيد الرُّشد، الداعية الإسلامي منذ ربع قرن في روسيا وآسيا الوسطى، وهو المترجم المساعد والمشرف العام على ترجمة وطباعة وتوزيع معاني القرآن الكريم والحديث الشريف باللغة الروسية. تعرف على زوجته فاليريا بوروخوفا الدكتورة الأكاديمية وأرشدها للإسلام، فاعتنقت الإسلام على يديهِ، وسمَّت نفسها فيما بعد (إيمان)، وأنجبت لهُ ابنه خالد. وقد أطلقت بوروخوفا اسم (خالد) على ابنها، تيمنا بالصحابي والقائد العسكري المسلم خالد بن الوليد. ثم سخرت قلمها لخدمة الفكر الإسلامي، وعاشت بين دمشق وريفها أكثر من ١٠ سنوات مع زوجها. وقد استفادت كثيراً من هذه السنوات التي وصفتها بـ«أجمل سنوات حياتي»، حيث تعمق فهمها للغة العربية، وترسخت معرفتها بالقرآن وعلومه نظراً لوجود مكتبة والد زوجها الشيخ سعيد وهو عالم من علماء القلمون الزاخرة بتفاسير القرآن، التي أفادتها كثيراً في ترجمتها.

أعربت بوروخوفا مراراً عن دهشتها من وجود (١٠٦) ترجمات للقرآن من العربية إلى الإنجليزية، في حين لم يكن في اللغة الروسية سوى ثماني ترجمات. وكان هدفها هو تقديم ترجمة مقروءة من قبل الناس. أما انبهارها بالقرآن الكريم فعائد إلى أن النص الكريم لم يتغيّر عبر أربعة عشر قرناً، لذلك لم تترجم القرآن ترجمة حرفية بل ركزت على المعاني العميقة، وعابت على ترجمة كراشكوفسكي ذائعة الصيت أنها ترجمة حرفية، لهذا السبب أطلقت على عملها «ترجمة المعاني»، «والجمال الإلهي لآيات القرآن»، واستطاعت المترجمة أن ترد على المفاهيم الخاطئة التي شاعت عن الإسلام بسبب أنظمة المدارس والتعليم آنذاك. ومن أجل ذلك سافرت إلى منطقة فولغا وساراتوف وقازان وأوليانوفسك، وهي معروفة باعتناق الإسلام، خاصة بين صفوف الشباب. عملت على نشر الإسلام ومعانيه خاصة بعد موجات الانحلال التي سادت المجتمعات الآسيوية، وأرادت بشكل من الأشكال أن تعيد البريق للقيم الأخلاقية من خلال الإسلام.

عملت إيمان فاليريا بشكل دؤوب، وكان لها مع زوجها الدكتور الرشد حضور بارز تركز على إلقاء المحاضرات في المراكز الثقافية والنوادي في معظم المدن الروسية ودول آسيا الوسطى وتوزيع القرآن بالروسية. كما حاربت التطرف المنسوب إلى الإسلام زوراً، والمرتبط بالإرهاب، ودافعت عن الإسلام باعتباره دعوة للسلام وليس للقتل. كما حاربت الصورة النمطية للإسلام، وخاصة في ما يتعلق بالمرأة وحقوقها، وسعت إلى إيضاح جوهر الإسلام الحقيقي.

واجهتها كثير من العقبات، إلا أنها امتدحت الإقامة في سورية، وقالت إن الشيخ أحمد كفتارو المفتي العام السابق لسورية ونخبة من أساتذة كلية الشريعة بجامعة دمشق كانوا دوماً يساعدونها ويعطونها الاستشارات، وقالت: «كنت أتصل بهم باستمرار للسؤال والاستفسار عن الكثير من الأمور، وعلى الخصوص مع الدكتور وهبة الزحيلي الذي لديه مؤلفات كثيرة حول تفسير القرآن الكريم»، ودائما نرجع إلى تفاسير ابن كثير والقرطبي والمراغي والشعراوي وهيئة الإعجاز العلمي وغيرهم.

توفيت إيمان بوروخوفا في موسكو يوم الاثنين الثالث من محرم ١٤٤١ هـ، الموافق لـ ٢ سبتمبر ٢٠١٩، عن عمر ناهز ٧٦ سنة، ودُفنت في مقابر المسلمين بجنوب موسكو بعد الصلاة عليها في مسجد الجامع ظهرًا بحضور حشد كبير من مسؤولي الإدارات الدينية المسلمة. وحضر نحو ٢٠٠ شخص الجنازة في مسجد موسكو الجامع الكبير، أما مراسم الدفن فجرت بمقبرة خوفانسكويي بجنوب غرب العاصمة الروسية.

وختامًا، فإن ترجمة بوروخوفا على الرغم مما يعتورها من نقص، فهي خطوة جادة في طريق تجويد ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الروسية حتى وصلنا إلى طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، فقد تمكَّن (إلمير كوليف) عام ١٤٢٥هـ من سد النقص في هذا المجال بترجمته التي طبعت طبعات عدة. ثم أردف ذلك العمل الجليل بترجمة تفسير السعدي إلى الروسية عام ١٤٣٤هـ في ستة مجلدات.

من العاصمة الفرنسية

الشيخ صالح العود يتصدى لدعوة كتابة القرآن بالأحرف اللاتينية

بقلم الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي- تونس

يتعرض القرآن الكريم، المعجزة الخالدة لنبي الإسلام عليه الصلاة والسلام، لكائد ودسائس تهدف إلى الإساءة له والتشكيك فيه وزعزعة الإيمان به كتاباً منزلاً تعهد الله بحفظه (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)، ويسره (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر).

وعلى الرغم من ضراوة الحملات التي شُنَّت على القرآن قديمًا وحديثًا فإنها باءت كلها بالفشل، يشهد على ذلك الواقع المتمثل في مئات الآلاف إن لم نقل الملايين من الحفاظ لكتاب الله من مختلف الفئات في بلاد العرب وفي البلاد الإسلامية وحيثما وجد مسلمون.

ولقد قيض الله لخدمة كتاب الله العزيز تعليمًا ونشرًا ودفاعًا عنه صفوة من العلماء والباحثين والشيوخ البررة، نعدُّ منهم فضيلة الشيخ صالح العود المجاز في الشريعة الإسلامية من جامعة الأزهر ورئيس مركز التربية الإسلامية في منطقة (إيل سان دني)

في فرنسا

ولا يزال هذا الشيخ منذ ما يقارب الأربعين عاماً يولي اهتمامه لمحاولات كتابة القرآن الكريم بالأحرف اللاتينية عوضًا عن الأحرف العربية التي رسم بها عند تنزله وأجمعت عليها الأمة.

تصدى الشيخ صالح العود جزاه الله خيرا لقضية كتابة القرآن الكريم بالأحرف اللاتينية، وهي صدى لدعوات ظهرت منذ عقود طويلة لكتابة اللغة العربية بالأحرف اللاتينية التي نادى بها بعض أبناء الأمة، ذلك على غرار ما وقع لبعض اللغات الأخرى التي كانت تكتب بالأحرف العربية (مثل اللغة التركية)، والتي كانت أقل آثارها السلبية تلك القطيعة التي حصلت للناطقين باللغة التركية مع تراثهم المكتوب بالعربية.

وإذا كانت تلك هي بعض الآثار السلبية بالنسبة للغات غير العربية فإنها أشد خطورة بالنسبة للغة العربية لأنها تمس القرآن المقدس والمحفوظ نصًا ومعنى.

تصدى فضيلة الشيخ صالح العود لقضية محاولة كتابة القرآن الكريم بالأحرف اللاتينية لما رأى من تجاسر بعض دور النشر بإصدار القرآن الكريم إما كله أو أجزاء منه مكتوبا بالأحرف اللاتينية بتعلة تيسير قراءته لغير الناطقين باللغة العربية.

وجاء هذا التصدي لخطر كتابة القرآن بالحرف اللاتيني من طرف فضيلة الشيخ صالح العود من خلال عمل دؤوب لم يعرف الكلل، سخر فيه كل إمكاناته وعلاقاته العلمية الواسعة مع العلماء والهيئات الشرعية ودور الإفتاء والمجامع الفقهية ومنها المجمع الفقهي الإسلامي برابطة العالم الإسلامي.

وواكب هذا التواصل جهد علمي قام به فضيلة الشيخ صالح العود، حيث بادر إلى توثيق كل ما قام به من جهود علمية في كتب وإصدارات وندوات نظمها مركز التربية الإسلامية الذي يرأسه لتجتمع من كل ذلك مادة علمية

مدققة محققة هي ثمرة لعمل جعله شغله، بارك الله فيه وفي جهوده لمخاطر كتابة القرآن الكريم بالأحرف اللاتينية، عوضًا عما ظل يرسم به المصحف الشريف بالحرف العربي التوقيفي الذي أجمع عليه العلماء على مر العصور بمختلف مذاهبهم.

لقد راسل في هذا الإطار فضيلة الشيخ علماء المسلمين من المفتين والشيوخ المختصين في الرسم والتلاوة والترتيل مستفتيا، وتلقى منهم العديد من الأجوبة العلمية المدعمة بالحجج والبراهين من آيات الكتاب العزيز والسنة النبوية الصحيحة وأقوال العلماء الأعلام التي تلزم بالرسم التوقيفي العثماني الذي حافظ به كتاب الله العزيز على قدسيته وجوانب إعجازه، مما جعله في مأمن من كل تحريف لكلماته بألفاظها التي نزل بها الوحي على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتلقاه بها منه الصحابة رضي الله عنهم وامتد به منهم هذا السند المبارك السليم إلى اليوم وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

إن ما كتبه وجمعه فضيلة الشيخ صالح العود من مادة علمية مدققة محققة، وما تضمنته إصداراته في هذه القضية، وما توجه بها إلى كل المستويات العلمية والفئات، يشفي الغليل ويمثل الرد المقنع الذي لا تبقى معه حجة لمتعلل بالحاجة إلى الاستعاضة عن الأحرف العربية بالأحرف اللاتينية في رسم المصحف الشريف.

لقد توالت إصدارات الشيخ صالح العود في التنبيه إلى مخاطر كتابة القرآن بالأحرف اللاتينية، وجاءت في سلسلة من الكتب أشبعت هذه المسألة بحثا ودراسة وتحقيقًا، في توثيق أخذ منه ولا شك جهدًا كبيرًا. ولم يدفعه إلى المثابرة في متابعة هذه الدعوة الخطيرة إلا ما شعر به ولمسه من مخاطرها، خصوصا هناك في باريس، حيث يقيم منذ ما يزيد على الأربعين سنة ويتولى التدريس والتأليف بين المسلمين المقيمين خارج دار الإسلام بمختلف أجيالهم.

ولا أدل على ذلك من عناوين الكتب التي ألفها طيلة العقود الماضية، منذ سنة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م تاريخ الإصدار الأول الذي يحمل عنوان: كتابة النص القرآني خطر داهم على المصحف العثماني. وقد أتى في غلاف هذا الإصدار بأقوال كبار علماء الأمة في هذه القضية (الحافظ بن حجر والإمام السيوطي والإمام ابن تيمية والإمام الشافعي).

ثم تلاه إصدار آخر يحمل عنوان: قرآنًا عربيًا غير ذي عوج جمع فيه أقوال مائة من علماء الإسلام ورجالاته يتفقون على تحريم كتابة القرآن بحروف غير عربية، بالإضافة إلى خمس وخمسين شهادة رفيعة من حراس العقيدة وحفاظ الشريعة تمنع بشدة وتحمل على الذين يكتبون القرآن بحروف غير عربية.

إضافة إلى ذلك أصدر كتيبًا صغيرًا يحمل عنوان: تنوير الأذهان في الرد على من حرف القرآن وكتبه بحروف غير عربية (باللغتين العربية والفرنسية تعميمًا للفائدة وتوسيعًا للوعي بخطورة هذه المحاولة).

وتوالت إصدارات الشيخ صالح العود في موضوع عدم جواز كتابة القرآن الكريم بغير الحرف العربي في كتب تحمل عناوين:

* إقناع الأمة بتحريم كتابة القرآن بالحروف اللاتينية بالكتاب والسنة وأقوال الأئمة.

* الفتوى الشرعية في تحريم كتابة السور والآيات القرآنية بالحروف اللاتينية الصادرة بالإجماع عن مجلس الإقراء و القراء بدمشق الشام.

* اعتداء سافر على عربية القرآن.

وليست هذه الإصدارات المتابعة لهذه القضية الخطيرة إلا عينة من عمل دؤوب ومجهود كبير بذله ولا يزال يواصله بدون هوادة فضيلة الشيخ صالح العود، بارك الله في جهوده وخدمته لكتاب الله العزيز، وندعو الله أن تتحقق بها الغاية المرجوة من الحفاظ على كتاب الله العزيز القرآن الكريم مكتوبا بالرسم العثماني التوقيفي.

في قمم الهيمالايا تزدهر العربية

بقلم: الدكتور محمد علي الوافي كرواتل

جامعة تنسيق الكليات الإسلامية - كيرالا - الهند

ظلت اللغة العربية وآدابها ولا تزال محل اهتمام المسلمين في الديار الهندية منذ قرون وإلى يومنا هذا. ولم تكن العربية من اللغات الأجنبية عندهم، إذ إنهم كانوا يستخدمونها ويتبادلون بها في حياتهم التجارية والاقتصادية، وهذه حقيقة تاريخية تؤيدها نخبة من المؤرخين حين يشيرون إلى أن التجار العرب كانوا يجتلبون البضائع الهندية إلى البلدان العربية ومنها إلى البلدان الأوروبية النائية. وهذا الاحتكاك الحضاري والتبادل الاقتصادي أثر في اللغات الهندية وأبقى معالمها في الجغرافيا الهندية التي وصلت اللغة العربية إليها.

وتعيد الأحداث السياسية الجديدة التي يمر بها شبه القارة الهندية هذه الحقيقة إلى الأذهان، وتجعل منطقة كشمير ولداخ (The Ladakh) في محط الأنظار من جديد.

وصلت اللغة العربية إلى منطقة لداخ (The Ladakh) منذ زمن بعيد. وبعكس بقية اللغات العالمية، فإن اللغة العربية قُدِّر لها الذيوع بانتشار التعاليم الدينية في جميع الأقطار. ولما اتسعت دائرة الدولة الإسلامية، اتسعت أيضاً دائرة اللغة العربية في أرجاء المعمورة وأثرت في الحياة الاجتماعية. وتمتاز ديار لداخ بنخبة من العلماء البارزين ممن تملكوا ناصية البيان وبلغوا شأواً بعيداً في الإجادة العربية والإتقان اللغوي. ولكن الحركات العربية والأدبية ظلت محجوبة عن الأنظار حتى إن المكتبات العربية خالية من المؤلفات والكتب حول الحركات العربية في أودية جبال الهيمالايا. ومع هذا ظلت هذه البقعة موضع اهتمام السياح العرب لكونها أعلى بقعة مسكونة على الكوكب الأرضي، إذ إن ارتفاعها يبلغ ١٨٨٨٧٥ قدما فوق سطح البحر. تعرفت الإنسانية على منطقة لداخ لما لها من الأهمية البالغة في الخريطة السياحية العالمية، لكن تقدمها الثقافي وكمالها العلمي ثم كونها مهدًا للغة العربية وآدابها ظل بعيدًا عن متناول الأكاديميين العرب.

يقول التاريخ إن الإسلام دخل إلى منطقة لداخ في عهد الخليفة العباسي المأمون. وتشير مخطوطة وجدت في أفغانستان إلى نقوش عربية لكلام الخليفة المأمون يعرب فيها عن شكره لله تعالى على فتح التبت (The Tibet)، وكذا فيها الإشارة إلى أن المهدي كان يأخذ الجزية من أهل التبت. وإلى هذه الحقيقة التاريخية يشير المؤرخون العرب من اليعقوبي وابن خلدون والبيروني والمسعودي وغيرهم عن فتح التبت، حيث كانت منطقة لداخ جزءًا من التبت في تلك الأيام.

وفي القرن الثامن الميلادي شهدت منطقة كشمير ولداخ النزاع بين قوات الصين والتبت وبعض الممالك في دول آسيا الوسطى ثم العرب الفاتحين الذين أتوا من قبل

فارس والعراق. ويرى بعض المؤرخين الذين تخصصوا في تاريخ لداخ وكشمير بأن وجود بعض الأسماء العربية والنقوش القرآنية على مجموعات من الصخور، هو خير شاهد على حضور الإسلام والعربية في تلك القرون بهذه المناطق.

لقد تمكن الدين الإسلامي بأيدي هؤلاء الدعاة الربانيين من النفوذ إلى قلوب غير المسلمين، وتوطدت العقيدة في داخلهم. وبذلك لاقت اللغة العربية رواجاً وقبولاً في الأوساط الاجتماعية الهندوسية، والسهم الكبير من فضل الدعوة في منطقة لداخ وكشمير في القرن الثالث عشر الميلادي يعود إلى الشيخ السيد شريف الدين، رحمه الله.

وفي القرن السابع عشر الميلادي بدأ التجار المسلمون من المناطق القريبة يستوطنون منطقة لداخ، واستقروا فيها وتزوجوا بالنساء. ومع دخول هؤلاء التجار المسلمين تحولت المنطقة وصارت منطقة ذات طابع إسلامي. بل صارت اللغة والعادات والتقاليد إلى نحو ما يناسب الإسلام، الدين الجديد في المنطقة. وفي سنة ١٨٦٩م أسست في منطقة لداخ مكتبة إسلامية كبيرة تعنى بتثقيف المسلمين في المنطقة بثقافة إسلامية وبتعاليم دينية سامية. وقد اعتنى أولياء الأمور بتوفير التعاليم المزدوجة بين العلوم الدينية والمادية، حيث أنشؤوا المؤسسات التعليمية لتدريس الطلاب المنهج الإسلامي الأصيل، بالإضافة إلى اللغتين العربية والإنجليزية.

وتعتبر مدرسة ليه (The Lehi) المتوسطة الإسلامية الإنجليزية ومدرسة جوجوت المتوسطة الإنجليزية من أوائل المعاهد التي أسست في المنطقة لنشر التعاليم الدينية والوعي الإسلامي بين المسلمين في منطقة لداخ. وأما مدرسة جوجوت فقد قامت بدور كبير في تثقيف الأجيال المسلمة، وأنجبت تلك المدرسة شخصيات بارزة في الساحة الإسلامية والحركة الدينية، منهم على سبيل المثال، الشيخ عبد الكريم، الذي سافر بعد تخرجه في هذه المدرسة إلى المعاهد العلمية في العراق ليرتوي من منهلها الصافي العلوم الإسلامية والدراسات العربية. وقد نشطت الحركات الدينية المهتمة بنشر اللغة العربية في منطقة لداخ بأياد سخية من المسلمين، وذلك بعد أن أنشؤوا فيها منظمة خيرية عرفت باسم (أنجمن معين الإسلام Anjuman Mueen Islam) وهذه المنظمة الخيرية لها الحضور الفعال في حياتهم الاجتماعية والثقافية.

وبفضل هذه الجهود المبذولة في تثقيف المسلمين في المنطقة، أرسلت البعثات العلمية إلى الجامعات الإسلامية في الولايات الهندية القريبة ثم إلى الجامعات الشهيرة في الدول العربية. نتيجة لهذه البعثات العلمية تم تأهيل الشباب المسلمين من لداخ بالدراسات العربية والإسلامية من قبل دار العلوم الإسلامية (The Darul Uloom Dayuband) ومن قبل ندوة العلماء في لكهناؤ (The Lucknow) الهندية. وهذا الجيل الجديد من العلماء الذين درسوا في الجامعات الإسلامية في الهند وفي الخارج، بدؤوا يدرّسون اللغة العربية في المدارس الإسلامية في لداخ. علاوة على ذلك تخرجت في الكليات الإسلامية للبنات الكوادر النسوية يحملن مسؤولية التربية والتعليم والدعوة إلى الإسلام في أوساطهن النسوية.

وعلى الرغم من وجود بعض المعوقات، فإن اللغة العربية قد لاقت قبولاً واسعًا في الأوساط الاجتماعية في كشمير ولداخ. ولذلك القبول أسباب كثيرة من أهمها أن اللغة العربية هي لغة الدين والعقيدة. والمسلمون أينما حلُّوا واستوطنوا يمتلكون قلوبًا ترتاح لرقي اللغة العربية وتحزن لانحطاطها. وكذا فإن الممارسات الدينية تعتمد أساسًا في اللغة العربية. وكذا فإن الجيل الجديد من منطقة كشمير ولداخ كانوا يكبون على ثقافتهم العربية ويستميتون في الحفاظ على هويتهم اللغوية. واللغة العربية صارت موضع اهتمام في منطقة لداخ وكشمير، وذلك لأن المسلمين الذين اعتنقوا الإسلام كانوا يتسابقون إلى المصادر الدينية من القرآن والأحاديث النبوية. ولإتمام هذا الهدف النبيل قامت اللجان الدينية والجمعيات

الخيرية بتأسيس المدارس الابتدائية والثانوية لتعليم المسلمين اللغة العربية الفصحى.

وقد حظيت اللغة العربية في منطقة كشمير ولداخ باهتمام خاص في عهد الأمير السيد علي الهمداني والسيد محمد الهمداني، وإليهما تعود الريادة الأصلية في ترويج اللغة العربية في وادي الهيمالايا. وذلك لمَّا انتقلت السلطة إلى المسلمين في منطقة كشمير قصدها العلماء والدعاة من البلدان العربية النائية، وبوجود هؤلاء النوابغ في العلوم الإسلامية والدراسات العربية نشطت الحركات العلمية واللغوية في بلاط الأمير.

وكان رحمه الله أول من أحس بأهمية تثقيف الناس باللغة العربية والثقافة الإسلامية. وبدأ يحث الناس على تعلمها وتعليمها. وقد نظم، رحمه الله، أبياتًا كثيرة تبين مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية. وجهوده لم تقتصر على نظم بيت أو قصيدة، بل تخطت إلى تثقيف الناس بالدراسات الإسلامية واللغة العربية، إذ إن أهالي كشمير كانوا يتكلمون باللغة المحلية الممزوجة باللغة السنسكريتية. وهذا الداعي الشيخ الهمداني قد أضاف إلى اللغة المحلية بعض الألفاظ السهلة من اللغة العربية لكي يسهل تعلمها على المسلمين في المنطقة. ثم نظم في هذه اللغة بعض المنظومات التي تسهل دروب المسلمين في تعلم مبادئ الدين وأصوله.

وتجدر الإشارة إلى بعض الخطوات التي اتخذها الملك الكشميري قطب الدين ومن بعده الملك سكندر (King Sikandar) وبعده الملك زين العابدين من أجل تحويل مسيرة المنطقة إلى دولة إسلامية. ولأجل تحقيق هذه الغاية النبيلة، أنشؤوا فيها بعض المؤسسات التي كانت بمثابة مراكز السفارة بين كشمير وبين البلدان العربية. وذلك بعد سقوط الدولة العباسية بيد هولاكوخان. وفي عهد الملك زين العابدين نشطت الحركات اللغوية والدينية في المنطقة، وذلك بأن الملك كان يستورد الكتب العربية والدينية من الحجاز لكي يخلق بيئة مناسبة للغة العربية في المنطقة.

والفضل والأولوية في تأسيس المدارس الإسلامية في المنطقة يرجع إلى السلطان زين العابدين ابن السلطان إسكندر الذي اشتهر باسم «البد شاه»، وكان رحمه الله يحنو على طلبة العلم ويحب أهله ويزور العلماء ويكرمهم ويوقرهم. وقد أنشأ السلطان في سرينغر (Srinagar) جامعة عظيمة باسم (مدرسة السلطان زين العابدين)، وهي التي تولت تعليم معظم العلوم الدينية وشتى التخصصات الفنية الإسلامية، والتي تخرج فيها العلماء الكبار. وكذلك تُعدّ مدرسة إسلام أباد والمدرسة الصوفية أيضا من كبار المراكز الدينية في عصره. وبالإضافة إلى ذلك كانت مدارس أخرى كبيرة أنشئت في عهد السلطان زين العابدين أدت دورًا هاماً في نشر العلوم الدينية وترويجها وظل نشاطها إلى عهد المغوليين.

وقد كثر الاحتكاك الحضاري والثقافي بين هاتين المنطقتين العربية والهندية. وتؤكد الوثائق التاريخية أن العلوم الهندية المكتوبة في اللغة السنسكريتية (The Sanskrit) قد زادت ترجمتها إلى اللغة العربية في هذا العهد. وهذه الخطوة تتمة لما بدأ به الخليفة العباسي المأمون الرشيد من نقل التراث الهندي من الرياضيات والفلسفة الهندية والطب الهندي وعلم التنجيم إلى اللغة العربية. والعلماء من منطقة لداخ وكشمير الذين برعوا في اللغة العربية قد تحملوا مسؤولية الترجمة من وإلى اللغة العربية. فشهدت هذه الفترة التاريخية أعظم ثورة وأروعها في تبادل الثقافة العلمية بين اللغة العربية واللغات الهندية.

لعبت المدارس الإسلامية دورًا فعالاً في نشر الثقافة الإسلامية واللغة العربية في منطقة كشمير ولداخ. ومع أن الهدف الأول من إنشاء مؤسسات دينية في المنطقة هو نشر التعاليم الإسلامية بين المسلمين في كشمير إلا أن اللغة العربية قد نشطت حركاتها وتحسنت أوضاعها بعد أن قامت هذه المدارس الدينية بمسؤولية كبيرة من تثقيف

الأمة وتعليمها مبادئ اللغة العربية والإسلامية، إذ إن الفضل في بناء بيئة مناسبة للغة العربية، يعود إلى الدور الذي قامت به هذه المدارس في منطقة كشمير ولداخ.

من هذه المدارس الدينية مدرسة سراج العلوم بشوبيان وقد بدأت المحاولات لإنشائها من ١٩٦٠م إلا أنها جاءت إلى حيز الوجود عام ١٩٨٥م، وهي تجمع بين العلوم الدينية والعلوم المادية وتجري تحت إشراف الجماعة الإسلامية، وينفق عليها جماعة من المخلصين من منطقة لداخ. وكذا المدرسة العربية شمس العلوم في دراه فوره بلولاب. تأسست هذه المؤسسة الدينية والعربية سنة ١٩٩٦م تحت إشراف بير شمس الدين، ثم مدرسة مصباح العلوم في حوزهامه بلولاب تأسست سنة ١٩٩٩م، تحت إشراف الشيخ نذير أحمد القاسمي.

ولم يزل يزداد هذا التوجه لإنشاء المدارس حتى انتشرت المؤسسات الدينية في نواحي المنطقة بصورة تدريجية. وصارت هذه المؤسسات أدوات لترويج اللغة العربية وآدابها ونشر الدعوة والإرشاد وفق التوجيهات الإسلامية، ومنها، دار العلوم رحيمية بباندي بورة، ودار العلوم بلالية بسرينغر، ودار العلوم إسلامية بشوبيان، ودار العلوم جامعة البنات بسرينغر، ومدرسة أنوار العلوم بفونج، ودار العلوم الرضوية السلطانية بسرنكوت، ودار العلوم مجدد الألف الثاني بجامو، ومدرسة ضياء العلوم ببونج.

أما عن مستقبل اللغة العربية في وادي هيمالايا، فإن العربية في منطقة كشمير ولداخ تسير نحو مستقبل زاهر، لأن مستقبلها ثمرة ما يصنعه اليوم أهل اللغة في كشمير ولداخ. ولم تقتصر جهود أهلها على بناء بعض المدارس التي تثقف الطلاب بدراسة إسلامية فحسب، بل أنشؤوا فيها مدارس حكومية رسمية تعنى باللغة العربية. وهذه المدارس تهتم بتدريس اللغة العربية وتوسع إمكانيات انتشار اللغة العربية في منطقة كشمير ولداخ. ومن أهم المراكز العلمية الحكومية التي تعنى باللغة العربية، المدرسة الثانوية الرسمية للبنين في ليه، والمدرسة الثانوية الرسمية للبنات في ليه، والمدرسة المتوسطة الرسمية في تهكسي، والمدرسة الثانوية الرسمية في شوشوت، والمدرسة العالية الرسمية في فنغ، والمدرسة المتوسطة الرسمية في بشاتانغ. وهناك مدارس عدة يتعلم فيها أبناء المنطقة مبادئ اللغة العربية وأسسها من النحو والصرف والبلاغة. علاوة على ذلك فإن الكليات الحكومية الرسمية في منطقة كشمير ولداخ أيضا تفتح أبواب العربية أمام الطلبة وتقودهم إلى أفق العربية الفصحى. وكذا فإن مجلة التلميذ العربية الصادرة شهريًا عن وزارة التعليم العالي بولاية جامو وكشمير هي خير شاهد للعناية بالثقافة العربية التي تشهدها المنطقة في هذه الأيام.

وأخيرًا يحسن القول بأن الوضع الراهن للغة العربية في منطقة كشمير ولداخ يبعث فينا الرجاء والأمل، حيث يبذلون جهودهم وإمكانياتهم في تنشئة جيل جديد واعد يحمل مسؤولية الدعوة ويوسع نطاق الأجواء العربية.

أهم المصادر

١. إبراهيم المصباحي، المدارس الدينية ومساهماتها في تطوير اللغة العربية بولاية جامو وكشمير، مقالة في مجلة التلميذ. مجلة تصدر شهريًا عن وزارة التعليم العالي بولاية جامو وكشمير بالهند، تحت رئاسة الدكتور معراج الدين الندوي.

٢. د. محمد مظفر حسين الندوي، مساهمة أهل كشمير في اللغة العربية والأدب العربي، منظور برنترس، نواكدل، ٢٠٠٤م.

٣. السيد أبو الحسن علي الندوي، المسلمون في الهند، المجمع الإسلامي العلمي بندوة العلماء، لكهنؤ، ١٩٨٧م.

٤. عبد العزيز، الدراسات العربية في لداخ، بحث جامعي لنيل شهادة ما قبل الدكتوراه، مركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جواهر لال نهرو، نيودلهي، ٢٠١٠.

الحياة ذكاء وخبرة

د.عبد القادر الشيخلي

المستشار برابطة العالم الإسلامي

بادئ ذي بـــدء يتعيَّن التمييز بين الخبرة والتجربة، فالتجربة هي عمل أو فعـــل أو تصرف، وبتكرار ذلك تتولد الخبرة، فالعمل تطبيقي بينما الخبرة فكرة عقلانية وليدة التجارب.

هل الذكاء يصنع الخبرة أم العكس؟ الحقيقة أن الذكاء يُوَجِهْ نحو الخبرة المثمرة، بيد أن الخبرة تُوَسِّـــع من آفاق الذكاء الذي يُفترض أن يتوقف عند عمر مُعيَّن غالباً ما بين (١٦-٢٥) ســـنة من عمر الإنســـان، لذلك يعتمد الذكاء عند توقفه على الخبرة كي يُوسع آفاق امتداده، وفيما يلي بيان ذلك:

يعيش الإنســـان وسط علاقات اجتماعية متعددة ومتنوعة، تزوده بحقائق ومعلومات يستند عليها في سلوكه، وهو يواجه نوعين من الحقائق، النوع الأول: هو منظومة القيم الســـائدة في المجتمع، وهي منظومة مُعترف بها، وتتفاوت طبيعتها بين النظرية والتطبيق، فهي منصوص عليها في أمهات الكتب الخاصة بموضوعها، ولا ســـيما كتب علم الأخلاق وفلسفة الأخلاق، ولكن تطبيقها يتفاوت بين فرد وآخر. أما ما هو ســـائد فهو الســـلوك المجتمعي الذي يجاوز السلوك الفردي، فيحصل بون يتفـــاوت بين التقيُّد بأخلاقيات الجماعة البشرية الخاصة بنظام القيم الاجتماعية، والفرد الذي قد يتربى في أسرة ذات أخلاق رفيعـــة، ولكنه حينما ينضج ويباشر علاقاته الاجتماعية يصطدم بالوقائع المنافية للقيم التي قد تربى عليها في نطاق أسرته، ولكنه مُجبر في الانخراط في علاقات تفرضها ضرورة الحياة الفردية والاجتماعية، وهنا تحصل له الخبرات، فإذا أخطأ الفرد في مســـألة معيَّنة فهذا يحصل بسبب انعدام المعلومة الصحيحة حول هذا الخطأ، فإذا أخطأ في الموضوع نفسه ثانية فيمكن تفسير مرد ذلك بالنسيان الفردي، أما إذا أخطأ ثالثةً في الموضوع ذاته فهذه هي الحماقة!

إذاً، تتولد لدى الإنسان خبرات متعددة ومتنوعة تؤهله لكي يعيش في هذه الحياة الاجتماعية، ويُقيم علاقات مستمدة من وقائع خبراته الشـــخصية وأهدافه في المســـتقبل، والأمر الواجب الاتباع، حصر هذه الخبرات في ميدان المنطق، فيُجري تمييز أنماطها وآثارها، فإذا انتبه إلى مغزى وجودها واستثمر ما هو ملائم لكل ظرف أو وضع فهذا من الحكمة، ويُمكن اعتباره من الذكاء، والحياة تُشجع على تنمية الذكاء من خلال الخبرات اليومية التي ستصبح فيما بعد خبرات العمر، فيتصرف الإنسان في كل موقف التصرف الذي يراه صحيحاً، فإذا أثبت قابل الأيام أن هذا التصرف صحيح فعلاً فهو موقف مرســـوم، أما إذا ثبت خطأ التصرف فلا بد من مراجعة مفاهيم ومعايير الخبرات لوزن هذا التصرف في ضوئها.

والخـــبرة في الحياة تُعلِّم المرء متى يتكلم ومتى يصمت، ومتى يتحرك ومتى يقف، ومتى يُقيم علاقات متطورة مع أناس، ومتى يبتعد عن آخريـــن، فالذكاء الفردي المتولد من هذه الخبرات قابل للنمو والاســـتدامة، والمراجعة ضرورية للتأكد بأن الظروف ملائمة لهذا التصرف الفردي أو ذاك.

ومن يعتقد بأن الحياة ذكاء وخبرات يكون ناجحاً في حياته، لأنه يُصبح يقظاً تجاه الأحداث والمواقف فلا يتسرع بالانسياق وراءها، وإنما يحكمه مخزون خبراته الشـــخصية فيتصرف بموقف عقلاني مدروس، وهـــذا هو نهج الأفراد الناجحين في الحياة، فلم يكن النجاح صدفةً، وإنما كان نتيجة تخطيط عقلاني متميز للعلاقة بين الذكاء والخبرات.

من الفن الإسلامي